منظمة صدى الجنوب

التنشئة الجنسية الأسرية والعنف ضد المرأة

الأسرة في محافظة السويداء نموذجاً

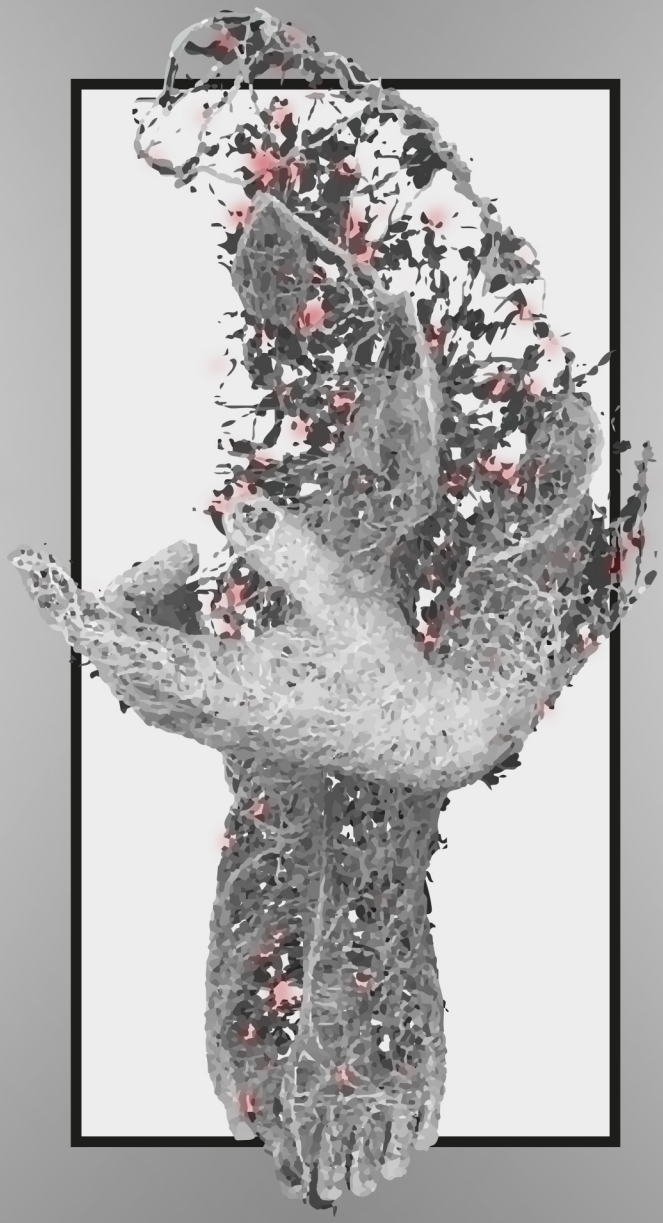

20/12/2022

دراسة اجتماعية

ملخص تنفيذي:

يعالج هذا البحث موضوع التنشئة الجنسية داخل الأسرة بوصفها أحد عوامل تغذية العنف ضد المرأة، مميزاً بينها وبين التربية الجنسية. ويتخذ البحث من محافظة السويداء كمثالٍ واقعي لدراسة أساليب التنشئة الجنسية الأسرية السائدة، ويهدف إلى توضيح الرابط بين هذه الأساليب وبين العنف الممارس ضد المرأة، إما بشكل مباشر أو من خلال تهيئة البيئة المناسبة للعنف بمختلف أشكاله. ناقش البحث في محوره الأول موضوع التنشئة الجنسية الأسرية وأهمية الإضاءة عليها متكئاً على أهم الدراسات النظرية التي قُدمت في هذا الشأن، ثم أردف بالتعريف ببيئة البحث وواقع المرأة فيها. انتقل البحث في محوره الثاني للإضاءة على مفاهيم التنشئة الاجتماعية والتنشئة الجنسية والعنف ضد المرأة. تالياً، تناول البحث في المحور الثالث السمات العامة للتنشئة الجنسية في محافظة السويداء مبيناً أهم الأساليب السائدة التي تمارسها الأسر مع أطفالها. كما نفذت مجموعة البحث مسحاً ميدانياً (استبانة) صمم بغرض استقصاء أساليب التنشئة، واستهدف ثلاث شرائح من البيئة المدروسة؛ الشباب والشابات والأهالي. وبالنتيجة خلص البحث إلى تحديد مجموعة من التوجهات السائدة في سلوكيات الأهل تجاه أطفالهم، وطريقة تعاملهم مع قضية التنشئة الجنسية، وكذلك، مع انعكاس تلك الأساليب عليهم. في الختام، خلص الباحث إلى النتائج اللازمة عن المعالجة التحليلية لتكون بمثابة المحددات التي اعتمدت في المحور الرابع لنقاش العلاقة بين أساليب التنشئة الجنسية وتغذية العنف السلوكي. يعمل البحث في محوره الأخير على قراءة مؤشرات العنف الذي تتعرض له المرأة ربطاً مع التنشئة الجنسية التي يتعرض لها كل من الذكور والإناث، مستفيداً في ذلك من أمثلة واقعية من بيئة البحث، ومن آراء مجموعة من الخبراء المحليين والاختصاصيين، ومعتمداً على الملاحظات، والمقابلات مع مجموعة من الأهالي والشباب والشابات. وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج تشير إلى أهمية وفاعلية دور التنشئة الجنسية الأسرية في تغذية العنف تجاه المرأة، وقدم مجموعة من التوصيات اللازمة عن نتائجه.

مقدمة:

يفتقد المجتمع السوري لقوننة مفهوم التربية الجنسية والتعريف بأدواتها، حيث يعتبر هذا المفهوم غائباً عن المناهج الدراسية وخطط التعليم. كذلك، لا تزال هذه القضية من القضايا المهملة في السياق الثقافي والتربوي. وبطبيعة الحال، تمارس الأسر دورها، سواء كان بشكل قصدي هادف أم عفوياً، في تنشئة أبنائها وتربيتهم وفق تصوراتها والمستمدة غالباً من الثقافة السائدة. وقد لوحظ في مجتمع الدراسة أن ظاهرة العنف القائم على أساس التمييز الجندري هي ظاهرة منتشرة، وهذا ما يشير إلى أن عمليات التنشئة الجنسية لا تزال قاصرة عن إمداد النشء بمفاهيم متوازنة حول النوع الاجتماعي، وأن حصائل هذه التنشئة تنعكس سلباً على الواقع اليومي للمرأة أثناء تفاعلها الاجتماعي. يلزم هذا الأثر السلبي عدد من الأسباب؛

- تفضي التعمية والتجاهل وغياب الثقافة الجنسية إلى الجهل بجسد الجنس الآخر (أنثى/ ذكر).
- تغذي القيم الاجتماعية السائدة تصورات شائعة حول ارتباط المكانة والدور بجنس الفاعل الاجتماعي، وتمنح المرأة مرتبة أدنى في التراتبية الاجتماعية.
- أساليب التربية السائدة القائمة على المنع والتحريم، واعتبار الجنس نقيضاً للأخلاق، وتالياً، ربط الجنس بالإثم والدنس، لا بالمعرفة العلمية.
- تساهم التنشئة الجنسية السائدة أيضاً في تكريس مفهوم الذكر المسيطر والمالك بمقابل الأنثى الضعيفة والمملوكة، الأمر الذي من شأنه استلاب جسد الأنثى لصالح مفاهيم الشرف العائلي التي تبيح قتل الأنثى بوصفها ملكية لذكور العائلة.

يفترض البحث أن للعوامل والسمات السابقة دور فاعل في تعزيز وتأسيس سلوكيات عنيفة، تنعكس على المرأة بأشكال مختلفة، وتساهم عبر أساليب التنشئة المتبعة في تغذّية بنية نفسية تتبنّي مجمل هذه السلوكيات وتبررها. من جانب آخر، يصبو البحث إلى توضيح الرابط والعلاقة بين العنف الذي تشهده المرأة، وبين أساليب هذه التنشئة. وهو بذلك يتعرض لقضية حساسة، يتم التغاضي عنها وتجاهلها، رغم أهميتها وارتباطها العميق ليس بقضية المرأة والعنف الممارس ضدها فحسب، وإنما بأخطاء تربوية يمارسها الأهالي مع أطفالهم دون قصدية في كثير من الأحيان.

تنبع أهمية هذه الدراسة من ضرورة العمل على تغيير الذهنية السائدة تجاه قضايا التنشئة الاجتماعية عموماً، والتنشئة الجنسية بشكل خاص، وصولاً لأهمية التربية الجنسية الحديثة في تفكيك أسباب العنف من عمر مُبكر، وخلال مراحل التنشئة التي يتلقاها الأطفال. ومن هنا تحدد هذه الدراسة جملة من التوصيات من أجل إجراء التدخل للمساهمة في تخفيف حدة العنف ضد المرأة بغية الوصول إلى مجتمع أكثر استقراراً وأمناً. لا شك أن هذا البحث، بما يقدمه من فرضية، ويصل إليه من نتائج، وما يحدده من مؤشرات للعنف، يفتح الباب أمام مفهوم التربية الجنسية الحديثة. من جانب آخر، يؤمّل من البحث أن يفتح الطريق لأبحاث أخرى تناقش غياب التربية الجنسية الحديثة، وتناقش ضرورة نشرها بوصفها رافداً أساسياً في تعزيز قيم المواطنة والمدنية والمساواة في المجتمع.

وفقاً لمتطلبات فرضية البحث، اقترح الباحثون مقاربة منهجية ثنائية؛ تبدأ بالمنهج التحليلي الذي يناقش في القسم الأول من البحث جملة الدراسات السابقة، من ثم المنهج المسحي الذي يواكب الحصيلة النظرية بمعطيات واقعية من مجتمع البحث. لذلك، اعتمد البحث مجموعة من الأدوات المنهجية المتكاملة انطلاقاً من الملاحظة المنظمة الهادفة.

نفذت مجموعة البحث مسحاً ميدانياً (استبانة) في الفترة من 10/1 حتى10/15 في مناطق السويداء وريفها. كما أجرى الباحث مقابلات نصف منظمة مع عينة من الأهالي في الفترة من 11/1 حتى 11/30. وأخيراً، عالج الباحث مجموع المعطيات التي قدمتها الأدوات السابقة خلال جلسات نقاش مركزة، ومقابلات منظمة مع خبراء محليين وأخصائيين اجتماعيين ونفسيين.

المطلب الأول: مقدمات نظرية:

تقدم الدراسات السابقة خطوطاً نظرية عامة يمكن الاسترشاد بها لتحديد آليات معالجة متغيري البحث؛ التنشئة الجنسية والعنف ضد المرأة. تحتاج هذه المقدمات النظرية إلى عملية تكييف مع البيئة الاجتماعية المبحوثة، لذلك، مهد الباحث بشروح أولية حول مجتمع منطقة البحث (محافظة السويداء) متضمناً الواقع الاجتماعي والسياسي والقانوني الذي يلقي بظلاله على مكانة المرأة في المجتمع، وعلى مشكلاتها الرئيسية.

أولاً: الدراسات السابقة:

اعتمد هذا البحث في بناء مقدماته على ثلاث دراسات أساسية:

- دراسة عبد الصمد الديالمي: سوسيولوجيا الجنسانية العربية.
- دراسة مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجيا الإنسان المقهور.
- دراسة هشام شرابي: مقدمات لدراسة المجتمع العربي.

تعتبر هذه الدراسات المقدمات النظرية التأسيسية في علم النفس الاجتماعي العربي إذ كان لها السبق في فهم سمات المجتمعات العربية وخصائصها الاجتماعية والتربوية. وقد استند إليها البحث كمرجعيات من أجل الاسترشاد النظري للوصول إلى مفهوم التنشئة الجنسية الأسرية.

- **دراسة عبد الصمد الديالمي:**

يشير عبد الصمد الديالمي في دراسته الموسومة سوسيولوجيا الجنسانية العربية أن كل الأنظمة التربوية العربية التقليدية تجمع على اعتبار النسق الجنساني نسقاً ثنائياً وتراتبياً في الوقت ذاته، وهو يتمحور حول قطبين: قطب رفيع فاعل مسيطر يتشكل من الرجال وقطب دنيء ومفعول به يتكون من الزوجات. ويعتقد أن النظام التربوي الجنساني في المجتمعات العربية التقليدية هو بناء نوعين جنسانيين: الرجل واللارجل، انطلاقاً من الهوية الجنسية البيولوجية لكن من دون التقيد بها بشكل مطلق. وهذا ما تدل عليه اللغة العربية نفسها من حيث توفرها على لفظين متمايزين: الذكورة التي تحيل على المعطى البيولوجي، والرجولة التي تؤشر على بناء الرجل كتفوق اجتماعي، أما بالنسبة للمرأة فلفظ الأنوثة يحيل في الوقت ذاته إلى الأنثى وإلى المرأة، أي إلى البيولوجيا وإلى النوع الاجتماعي (الدوني). فاللغة العربية بدورها تكرس لغوياً تفوق الذكورة. وتقوم ثنائية الفاعل – المفعول به على تعريف ذكوري للفعل الجنسي كإيلاج، وتندرج هذه الثنائية في نظام يتميز بالأهمية العامة للسيطرة الذكورية. وتبعاً لهذا المنطق يصبح الرجل المولج الفاعل الجنساني الوحيد. وبالمقارنة مع الرجل ليس للنشاط الجنسي نفس الأهمية في الشعور بالأنوثة لدى المرأة العربية. فللإنجاب أهمية أكبر في تحديد الهوية الأنثوية وفي الإحساس بها. وقد وصل النظام الأبوي العربي إلى التفريق بين المرأة المحترمة (الزوجة -الأم) والمتعة الجنسية. وإلى ربط المتعة الجنسية بنساء محتقرات.[1]

- **دراسة مصطفى حجازي:**

يرى حجازي أن العنف هو الوجه الآخر للقهر، وأن العدوانية المدمرة التي تتخذ طابعاً فاشياً، هي قرينة الإرهاب. العنف هو الوجه الآخر للقهر والإرهاب، أو على العكس الإرهاب والقهر هما الوجه الخفي للعنف في العالم المتخلف. لا يوازي حدة العنف ولا يفوقه إلا شدة الإرهاب والقهر. ليست هناك ضوابط خلقية عند الإنسان المتخلف. هناك خوف من القمع الخارجي. وعندما يزول هذا الخوف، أو يتوارى شبح القمع ينفجر العدوان متخذاً شكل عنف مباشر مدمر، أو شكل السلب والاستباحة[2]. ويرى حجازي أن المرأة هي أفصح الأمثلة على وضعية القهر بكل أوجهها ودينامياتها ودفاعاتها في المجتمع المتخلف. وتتجمع في شخصية المرأة، أو بالأحرى في النظرة إليها، أقصى حالات التجاذب الوجداني. فهي أكثر العناصر الاجتماعية تعرضاً للتبخيس في قيمتها على جميع الصعد: الجنس، الجسد، الفكر، الإنتاج، المكانة. يقابل هذا التبخيس مثلنة مفرطة ندر أن وجد لها نظير عند الرجل، هذه المثلنة تبدو في إعلاء شأن الأمومة، في إغداق الصفات الإيجابية عليها (الطيبة، المحبة، ينبوع الحنان، رمز التضحية) وهكذا تتفاوت مكانة المرأة في نظر الرجل ونظر المجتمع عموماً بين أقصى الارتفاع وبين أقصى حالات التبخيس.[3] ويشير حجازي إلى أن الاستلاب الجنسي الذي تتعرض له المرأة يعني اختزال للمرأة إلى حدود جسدها. واختزال لهذا الجسد إلى بعده الجنسي: المرأة مجرد جنس، أو أداة للجنس ووعاء للمتعة. هذا الاختزال يؤدي مباشرة إلى تضخم البعد الجنسي لجسد المرأة بشكل مفرط، وعلى حساب بقية أبعاد حياتها. إنه يمحور المرأة ويركز حول المسألة الجنسية، يركز كل قيمتها في هذا البعد من حياتها. كما يفجر كل مخاوفها الوجودية حول حلول كارثة ما تعصف بوجودها. هاجس المرأة قبل الزواج يتحول إلى قلق حول غشاء البكارة وسلامته، وإلى قلق حول قدرات الجسد على حيازة إعجاب الرجل بضمان الزواج. هذا التركيز يفجر عند المرأة أشد الرغبات وأعظم المخاوف في آن معاً. هذه هي المعضلة الأولى التي تتعرض لها المرأة في الاستلاب الجنسي، خصوصاً أنها

[1] - الديالمي، عبد الصمد، سوسيولوجيا الجنسانية العربية، ص 16 -17 -18.
2 - حجازي، مصطفى، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجيا الإنسان المقهور. المركز الثقافي العربي، الطبعة التاسعة،2005. ص 197.
3 - المرجع السابق، ص 199.

تعيش كيانها بشكل مهدد. ويقابل التركيز الجنسي المفرط والاختزال لجسد المرأة، قمع يبلغ أقصى درجات الشطط والقسوة. فالممنوعات التي تفرض على جسد المرأة أشهر من أن تعرّف. جسد المرأة المختزل في بعده الجنسي هو عورة يجب أن تستر وتصان وتحمي. وليس للمرأة سلطة على جسدها (جنايات الشرف تشهد على ذلك بشكل صارخ كما يقول). وكما يقول عباس مكي: كان جسد المرأة ومازال مادة غنية للتشريع، تحديد المسموح والممنوع من تحركات الجسم وتعبيراته ومتطلباته، تبعاً لأنماط مقبولة اجتماعياً.[4]

- **دراسة هشام شرابي:**

المنطلق الأساسي في هذه الدراسة هو أن العائلة كمؤسسة اجتماعية هي الوسيط الرئيسي بين شخصية الفرد والحضارة الاجتماعية التي ينتمي إليها، وأن شخصية الفرد تتكون ضمن العائلة، وأن قيم المجتمع وأنماط السلوك فيه تنتقل إلى حد كبير من خلال العائلة وتتقوى بواسطتها. ومن القواعد الأساسية التي ينطلق منها شرابي طرق تربية الطفل بما تمثله من دور حاسم في تعيين نوعية الشخصية من حيث ارتباطها بمجتمع معين، ودلالتها عليه ولذا فإن فهم طرق التربية يؤدي إلى فهم السلوك الاجتماعي ودوافعه في المجتمع.[5]

يشير شرابي أن التصرف والمواقف التي يتخذها الوالدان ضمن العائلة تؤثر تأثير حاسماً في نمو الشخصية، ذلك أنها تؤثر في حاجات الطفل الأساسية وتأمين استمراره في الوجود وتمتعه بالاطمئنان العاطفي. ويستمر الوالدان طوال مرحلة الطفولة في تمثيل دور خطير الأهمية فيما يتعلق بضبط دوافع الطفل وإرواء حاجاته وتحديد مقاييسه والتأثير في مختلف مراحل نمو الأنا كما في نتائج هذا النمو.

ويؤكد شرابي أن التغيرات التي تطرأ على طرق التربية وعلى تجارب الطفولة تنبع قبل كل شيء من موضع الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها العائلة، أي من مستواها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. كما تنبع من وضعها الإثني، والديني، والطائفي، والإقليمي. ويتركز بحثه على نموذج عائلة عربية تجسد القيم والمواقف السائدة في وسط إسلامي مدني وفي طبقة اجتماعية وسطى هذا مع العلم أن بعض التعميمات يمكن أن تنطبق على المجتمع العربي ككل بما فيه البدو والفلاحين على حد قوله.[6]

ثانيًا - لماذا التنشئة الجنسية؟ ولماذا الأسرة؟

إن الدراسات السابقة وإن كانت تنطلق من مقدمات ومواضيع مختلفة إلا أنها جميعاً تدرس نفس البيئة الاجتماعية، وتلتقي في نتائج واحدة، كما تؤكد على سمات عامة متشابهة في هذه الثقافة. ففي حين تذهب الأولى لتحلل سوسيولوجيا الجنسانية العربية، وتدرس شبكة العلاقات الناتجة عنها، فإن الثانية تدرس سمات المجتمعات المتخلفة من خلال رصد التكوّن السلوكي للإنسان المقهور وسماته النفسية والعنفية. في حين تركز الدراسة الثالثة على السلوك الاجتماعي وبنية العائلة، وتشير بشكل واضح إلى خلل خطير في آليات التربية والتعليم.

وإذا كان من البديهي أن الثقافة التقليدية التي ترتكز على الدين والعادات والتقاليد والأعراف هي ركيزة ومرجع أساسي في التنشئة الاجتماعية، وهي التي تشكل الفضاء الثقافي للتنشئة الجنسية للأطفال داخل الأسرة. فإن السؤال الذي بدأنا منه يخترق هذه الدراسات ويبنى عليها، لاسيما أن المجتمع يعيد إنتاج منظوماته القيمية من خلال التنشئة الأسرية. حيث لا يغيب

4 - عباس مكي، الجسم، محرماته وتشريعاته وتعبيراته الرمزية، مجلة دراسات نفسانية، كلية الآداب، الجامعة اللبنانية، العدد الأول، بيروت، 1974، ص 122. نقلاً عن حجازي، مصطفى، ص 214.

5 - شرابي، هشام، مقدمات لدراسة المجتمع العربي. المتحدة للنشر، الطبعة الثالثة، 1984. ص 33

6 - شرابي، هشام، مرجع سابق، ص 34

مفهوم الجنسانية الذي تحدث عنه الديالمي عن الحضور بقوة في طرائق التنشئة الأسرية للأطفال. كما أن طرائق التربية في المجتمعات المتخلفة على حد وصف حجازي، تؤسس لإعادة إنتاج سيكولوجيا قهرية عنيفة لاسيما تجاه النساء، من داخل الأسرة ذاتها. وهذا ما ذهبت إليه دراسة هشام شرابي بشكل مباشر وإن كانت لا تعالج الموضوع من نفس النظرية. ومن هنا تنبثق أهمية التساؤل حول نماذج التربية العامة التي تتعامل من خلالها الأسرة مع أطفالها بوصفها إسقاطاً مباشراً لكل سمات وخصائص المجتمع لاسيما منها العنف المادي والنفسي الذي تتعرض له المرأة. وعلى اعتبار أن التأسيس لسلوك الأطفال وموقفهم النفسي والعاطفي ونتائجه في المستقبل، إنما يبدأ من الأسرة. فليس خفياً أن التنشئة الجنسية للأطفال والمراهقين هي معيار مكثف وصورة جلية تلخص ما سبق وذلك لاعتبارات عدة أهمها:

- تكشف أساليب التنشئة الجنسية المشكلات العميقة في المجتمع وتعبر عنها.
- تؤسس أساليب التنشئة الجنسية الأسرية لاستمرار هذه المشكلات وإعادة إنتاجها.
- معظم العنف الموجه ضد المرأة ذو طابع جنساني.
- يمكن لتعديل أساليب التنشئة الجنسية الأسرية أن يلعب دوراً إيجابياً في تخفيف العنف الممارس ضد النساء. وفي التوجهات الجنسانية العامة للمجتمع لاسيما التمييز التراتبي بين الذكور والإناث..

ثالثاً ــ عرض لبيئة الدراسة:

تقع محافظة السويداء في الجزء الجنوبي الغربي من سوريا (105 كم جنوب العاصمة دمشق) يبلغ عدد السكان حوالي 330 ألف نسمة غالبيتهم العظمى من طائفة الموحدين الدروز (92.8%) مع وجود نسبة 3% من المسيحيين بينما يمثل المسلمون السنة حوالي 4% من السكان.[7]. يتوزع عدد كبير من سكان المحافظة في المدن الرئيسية حيث يقطنها ما يقارب 37% من مجموع السكان. وقد ساهم انخفاض معدلات الهطول المطري والجفاف خلال العقود الثلاث الماضية بتحول العديد من القرى لتنضم إلى إقليم المنطقة نصف الجافة (من 150 حتى 250 مم سنوياً)، ولاسيّما في الريفين الشرقي والجنوبي، وأسفر ذلك عن تكون ظاهرة هجرة كثيفة للسكان من الأرياف الجافة إلى المدن في ظل غياب شبه تام للتنمية الاقتصادية، وفي ظل انحسار في فرص العمل ونقص الموارد الأساسية والشلل شبه الكامل للقطاعات الخدمية. لا يزال اعتماد السكان في معيشتهم على الزراعة والإنتاج الحيواني، وتعتبر اليوم حوالات المغتربين من الخارج هي المصدر الرئيسي الثاني لإعالة العائلات إضافة إلى العمل الزراعي في الريف والعمل التجاري في المدن. أما المصدر الثالث فهو العمل في القطاع العام والقطاع الخاص، فقد بلغ عدد الموظفين في القطاع العام خلال العام الحالي حوالي 27 ألف موظفة وموظف، وحوالي 14 ألف موظفة وموظف في القطاع الخاص. في الوقت نفسه، تراجعت القدرة الشرائية لليرة السورية بفعل التضخم النقدي، ومع الزيادات المحدودة لسلم الأجور والرواتب، تراجعت قدرة الأسرة على الإنفاق إلى ما دون (10٪) من قدرتها على الإنفاق عام 2011، ذلك مع الأخذ بعين الاعتبار زيادة كلف وصول السلع بسبب الشبكات الريعية التي تديرها الفرقة الرابعة للتحكم بحركة النقل على الطرق الرئيسية وتحصيل الإتاوات المالية.[8] كان متوسط راتب الموظف في القطاع العام يعادل 300 دولار في شهرياً عام 2011، في حين أنه انخفض خلال عام 2022 إلى ما يعادل 30 دولار شهرياً فقط. لم تكن السويداء بمنأى عن تداعيات الصراع السوري منذ 2011 حيث

[7] -تفاوتت نسبة أعداد السكان في المحافظة منذ 2011 بشكل كبير نتيجة لحركة النزوح الكبيرة إليها، ثم عودة معظم النازحين منذ 2018، بالإضافة إلى هجرة أعداد من العائلات والشباب منها خلال سنوات الحرب. لا يوجد إحصاء دقيق يمكن الاعتماد عليه، وقد اعتمد الباحث على جملة من المعطيات والمعلومات لتحديد الأرقام بشكل تقريبي.

[8] - أنظر المقال https://2u.pw/ixlder

ازدادت معدلات الفقر بشكل ملحوظ، وارتفعت معدلات البطالة، لاسيما بين شرائح الشباب المتعلمين.[9] كما ازدادت معدلات الهجرة الخارجية بشكل ملحوظ نحو الخليج ودول أوروبا.
تعتبر التركيبة السكانية في محافظة السويداء تركيبة ذات طبيعة عائلية حيث تمتلك بعض العائلات نفوذاً اجتماعياً تبعاً لمناطق تواجدها، ولديها تراتبية هرمية على رأسها وجيه العائلة. من جهة أخرى، هناك عدة جهات ومؤسسات ومرجعيات في المحافظة تعتبر بمجموعها القوى الفاعلة وصاحبة الأثر في حياة وعلاقات أبناء المحافظة. تتوزع هذه القوى بين مرجعيات أهلية (دينية واجتماعية) وبين جهات رسمية حكومية وأمنية.

أما التشكيل الاجتماعي في محافظة السويداء، فيمكن القول إن مجتمع السويداء مجتمعٌ ذو بنية أبوية (بطريركية)[10] تميزت بإنتاج علاقات غير متكافئة للسلطة بين الذكور الذين يمتلكون سلطة اتخاذ القرار، وسلطة تحديد المنظومة القيمية في المجتمع، وبين الإناث اللاتي ينشأن في العائلة ذات السلطة الأبوية، فيتهيأن لقبول دورهن ضمن الأسرة والعائلة الممتدة داخل المجتمع.
ومن الناحية القانونية، تنظم معاملات الأحوال الشخصية للمنحدرين من طائفة الموحدين الدروز وفق نصوص قانونية خاصة مضمومة لقانون الأحوال الشخصية السوري (المادة 305 ـ المادة 307). يعالج هذا التقنين الخاص قضايا الأهلية والحضانة والطلاق، والزواج، والوصية، والإرث.

رابعاً ـ المرأة في سوريا عموماً وفي محافظة السويداء بشكلٍ خاص:

تشير الدراسات إلى حضورٍ مبكّرٍ للمرأة السوريّة وتقدّمٍ نسبيٍّ عن مثيلاتها في العالم العربيّ، لكن وكما بقيّة تشكيلات المجتمع السوري، تحولت من التنوّع والتشكّلِ والفاعليّة إلى الشكلانيّة، وانتهاءً إلى الصوريّة الصمّاء. وعلى الرغم من التقارير والدراساتِ التي تشير إلى تقدّمٍ في الأرقام على مستوى تقارير التنمية الاجتماعيّة أو إحصائيّاتِ التمثيل "الاجتماعيّ والسياسيّ"، إلا أنَّ معطيات الواقع تشير إلى جمودٍ في وضعيّة المرأة السوريّة، وربّما في أحسن الأحوال، تطوّرٍ بطيء.

ففي المستوى الإداري، أشار تقريرُ التنمية الإنسانيّة العربيّة للعام 2004 إلى أنّ نسبة النساء ضمن الإداريّين والمديرين بين الأعوام 1985 و1997 في سوريا كانت 2%[11]. وعلى المستوى السياسيّ، زادت نسبة المشاركة السياسيّة للمرأة في مجلس الشعب عن 12% في آخر الإحصائيّات (2007). كما توجد امرأةٌ في منصب نائب رئيس الجمهوريّة، وفي الحكومة وزيرتان، وفي السلطة القضائيّة 166 قاضٍ من النساء من أصل 1101 في مختلف المحاكم، وفي مجالس الإدارة المحليّة 3,1%. وعلى الرغم من الزيادة الحاصلة في نسبة النساء المشاركات في مجلس الشعب السوريّ بين الدور التشريعيّ الأول (4 نواب نساء بنسبةٍ تبلغ 2.15% من عدد النوّاب)، والدور التشريعيّ الثامن (30 نائباً من النساء بنسبةٍ تصل إلى 12% من أعضاء المجلس)، فإنه يجب عدم إغفال أن 27 من النواب النساء في الدور التشريعيّ الثامن هنَّ من حزب البعث الحاكم بالإضافة إلى نائب واحدةٍ مستقلّةٍ، وأخرى عن أحزاب الجبهة الوطنيّة التقدّميّة (حزب الاتحاد الاشتراكيّ)، وواحدة إضافية عن الحزب السوري القوميّ الاجتماعيّ؛ أي إنَّ العضوات البعثيّات يشكّلن نسبة 90% من النساء الممثلات في مجلس الشعب، وقد وصلن إلى

---

[9]- لا توجد إحصائيات حول نسب البطالة يمكن الاعتماد عليها بعد العام 2004

[10] - يعرف النظام الأبوي- البطريركي: "مأسسة الهيمنة الذكرية على النساء والأطفال في الأسرة، وتوسيع الهيمنة الذكورية على النساء في المجتمع بعامة. وهذا يتضمن أن يتولى الرجال السلطة في جميع مؤسسات المجتمع الهامة. (ليرنر، 1986، صفحة 449+450)

[11]- تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2004، برنامج الأمم المتحدة، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي (المكتب الإقليمي للدول العربية)، ص 492, الجدول22.

البرلمان ضمن قوائمَ خاصّةٍ بحزب البعث، وبالتالي، فهي نسبةٌ غير معبّرةٍ عن حقيقة المشاركة السياسيّة للمرأة السوريّة، ولاسيّما أنّ مشاركتهن ضمن جلسات مجلس الشعب تتّسم في كثيرٍ من الحالات بعدم الفاعليةً، وأكثر من ذلك لم تحمل هموم المرأة السوريّة ومشكلاتها الحقيقيّة، والتي يجب طرحها للنقاش والتصويت في مجلس الشعب. كما أنَّ وجود المرأة بنسبةٍ ثابتةٍ في الإدارة المحليّة 3 % خلال المجالس المتعاقبة جميعها يدلُّ على أنَّ النسبة محدّدةٌ سلفاً ولا تدلُّ على مشاركةٍ حقيقيّةٍ للمرأة. كما لا تزال النساء بعيداتٍ عن مواقع صنع القرار الاقتصاديّ نتيجة تمركز العمالة النسائيّة في قطاع الخدمات الاجتماعيّة بعيداً عن العمليّة الإنتاجيّة. ممّا يعني بقاءهنّ بعيداتٍ عن عمليّة التنمية، وبالتالي بعيدات عن مواقع صنع القرار[12].

إنَّ انخفاض نسبة تمثيل المرأة انخفاضاً شديداً في أوساط اتّخاذ القرار، قد جعل من حقوق المرأة الدستوريّة، مبادئ غير فعّالةٍ كثيراً لتأمين مشاركتها في الحياة السياسيّة.[13] وعبر التدقيق والمقارنة بين المكتسبات القانونيّةِ التي استطاعت المرأة السوريّة تحقيقها، وبين ممارسة النساء لها، نجد أنَّ العرف السائد استطاع أن يقلّصَ من المساحة التي نالتها النساء لصالح ممانعة الثقافة السائدة. فسريانُ القانون لا يأخذ بعده الاجتماعيّ، وغالباً ما يصطدم مع " ثقافة العرف" التي يساهم الضعف المؤسّساتيُّ بتقويتها. فثقافة المجتمع لا تزال متخلفة عن ثقافة القانون ذلك أن ثقافة المجتمع التقليدية المفعمة بالسمات الأبوية هي مضمونُ العلاقات الاجتماعيّة القائمة؛ علاقات الاستغلال والاستتباع والاستعباد، وليس بالوسع تحسين هذه العلاقات أو تطويرها وتحديثها أو تغييرها ما لم يتغيّر محتواها المعرفيُّ والثقافيُّ.

أما عن المرأة في محافظة السويداء، وخصوصاً عند طائفة الموحدين الدروز، فهي تتمتع بمكانة اجتماعية جيدة نسبياً، حيث لا تفرض عليها قيود صارمة من حيث اللباس أو حرية الحركة أو المشاركة في الأحداث الاجتماعية، أو مزاولة العمل سواء في القطاع العام أو القطاع الخاص. كذلك، هناك تشجيع على التعليم بين الإناث بشكل ملحوظ حيث ترتفع نسبته عن متوسط النسبة في سوريا، وتصل إلى أكثر من 50% من النسبة ذاتها لدى الذكور في العام 2019. في إطار توسع عملية التعليم في المحافظة، كانت قد أعلنت محافظة السويداء عام 2008 كمحافظة خالية من الأمية[14] بالرغم هذه المكتسبات وبخاصة في مجالي العمل والتعليم، بقيت المرأة تعاني من الإقصاء السياسي والاجتماعي، حيث لم تتجاوز نسبة تمثيل النساء في مجالس المدن أكثر من 4% [15]، كما لم تستطع ممارسة أدوار سياسية واجتماعية قائدة ضمن الحيز العام، بل بقيت خاضعة للظرف الاجتماعي العام المحتكم إلى الأعراف والتقاليد من جهة، كما تأثرت مكانتها بسبب الأزمة الاقتصادية وزيادة معدل الفقر من جهة ثانية. ساهم هذان العاملان بشكل مباشر في تحجيم قدرتها على المشاركة السياسية الفاعلة، حيث تنصب أولوياتها على الاهتمام بالجانب المعاشي على حساب اهتمامها بالمشاركة المجتمعية والسياسية. ومن مؤشرات الضعف الاقتصادي الذي أصاب المرأة في محافظة السويداء، تدني ملكيتها العقارية حيث لا تزال تعاني من حرمان أو عدم مساواة في حصتها من الميراث. كما جرت الإشارة، فإن ضعف البيئة التشريعية والقانونية المنصفة، والاحتكام للعرف على حساب القانون، كانا قد ساهما مجتمعين في عدم تحقيق المساواة في الحقوق والواجبات، وفي تراجع مستوى الحريات العامة. فعلى صعيد الحيز الخاص، فإن النساء في المحافظة تعاني من العنف بكافة أشكاله، ومن التزويج المبكر والقسري، ومن تردي مستويات الأمان المجتمعي، ومن تمييز قانوني تحت مظلة قانون الأحوال

[12] - انظر: خولة دنيا - ناصر الغزالي، تقرير المرأة السورية بين الواقع والطموح، عن مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية – 2008.

[13] - انظر: اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا –الاسكوا- المرأة العربية اتجاهات وإحصاءات 1990-2000 الأمم المتحدة نيويورك، 2004.

[14] - https://2u.pw/9VEbk

[15] - https://drive.google.com/file/d/1kR0KkIphdM3qdZ3__-HREInikO6vStFM/view

الشخصية. وبحسب ما تبينه الدعوات القضائية والاستشارات القانونية التي يتم تقديمها، "تتعرض النساء لكافة أشكال العنف الأسري كالعنف الجنسي من قبل الزوج، أو الضرب، أو التحرش من قبل الذكور ضمن العائلة"[16] .

تعد جرائم الشرف أخطر أشكال العنف الممارس ضد المرأة لأنه يأخذ شكل القتل المباشر والمبرر اجتماعياً، كما أنه يؤسس لحالة قلق دائم عند المرأة كونها من الممكن أن تتعرض للقتل إذا ما وضعتها الظروف في مكان أو شرط يعتبر خروجاً عن الأعراف السائدة. يقدم الجاني على فعل القتل بدافع غسل العار الذي لحق به أو بأسرته، نتيجة شعوره بأن شرفه قد هتك بسبب سلوك إحدى نساء العائلة. غالباً ما ترتبط جريمة الشرف بسلوك المرأة الجنسي خارج إطار الزواج. وقد يترافق هذا القتل بمظاهر الفرح والابتهاج كنوع من إشهار الجريمة أمام المجتمع[17] تشير الدراسات والإحصائيات إلى أن عدد جرائم الشرف المرتكبة من عام 2000 إلى 2019، 36 جريمة مسجلة في ديوان محكمة الجنايات في السويداء، وهي غير الموجودة لدى قاضي التحقيق أو قاضي الإحالة، كما أن هناك جرائم يجري التستر عليها ولا تصل إلى القضاء.[18] في حين تم تسجيل 10 حالات قتل بداعي الشرف في السويداء خلال العام 2019 فقط[19] من المثير للاهتمام أن يكون هناك إناث يؤيدن استخدام العنف ضد المرأة، على الرغم من أنهن قد يكنّ فريسة هذا النوع من السلوك العنفي. وفقاً لنتائج استبانة رأي أجريت خلال عام 2021، كانت نسبة 27% من الإناث في العينة المبحوثة قد أيدن استخدام العنف أو التهديد به للحفاظ على القيم الاجتماعية السائدة.[20]

لا تختلف الأسباب المباشرة التي تؤدي إلى جريمة الشرف في محافظة السويداء عن المناطق السورية الأخرى ذات الطابع العشائري. ثمة عوامل وسمات تميز منظومة العصبيات المحلية في محافظة السويداء حيث تنوجد عصبية الجماعة المذهبية (الدروز)، كعصبية جامعة للغالبية الساحقة من سكان المحافظة، بالتجاور مع عصبيات فرعية في نطاق العائلة الممتدة، وتشكلان معاً أساس منظومة القيم التقليدية، وتدفعان بالقوى المحافظة إلى صدارة العمل الاجتماعي. تشكل هذه المنظومة القيمية عاملاً ضاغطاً على أساليب التنشئة الاجتماعية، وتدمغها بطابع محافظ نظراً لحاجة الجماعات شبه المغلقة، كما هو حال الجماعة الدرزية، لإظهار نوع مبالغ به من التماسك داخل الجماعة عن طريق التضامن الميكانيكي والانقياد السلبي للقيم السائدة.

المطلب الثاني: مفاهيم التنشئة الاجتماعية والتنشئة الجنسية والعنف ضد المرأة

يقدم هذا الجزء من البحث التعريفات والشروح الضرورية حول المفاهيم المستخدمة في البحث، كما يضع ملاحظات حول ضرورة التمييز بين بعض المفاهيم المتجاورة مثل مفهومي التنشئة الجنسية والتربية الجنسية.

16- مقابلة خاصة مع المحامي عادل الهادي بتاريخ 2022/10/25

17 - جرائم الشرف في محافظة السويداء بين العرف والقانون وتأثير الصراع.2020

https://drive.google.com/file/d/1sd90C9KnU5qTvk8nG7F_H5m0zMYP1tSb/view?usp=share_link

18 - المصدر السابق.

19- https://2u.pw/g7kbV3 تقرير خاص نشرته منظمة(سوريون من أجل الحقيقة والعدالة) 2021

20 - https://2u.pw/t6I3n2 بحث جرائم قتل النساء على خلفية شرف العائلة، فريق عدالة،2021،ص33

أولاً ـ التنشئة الاجتماعية:

يمكن تعريف التنشئة الاجتماعية بوصفها العملية التي يتم بها تشكيل الكائن البيولوجي وتحويله إلى كائن اجتماعي. ويتم من خلالها تدريب الأفراد على أدوارهم المستقبلية ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع، وتعد التنشئة الاجتماعية أهم العمليات تأثيراً على الأبناء في مختلف مراحلهم العمرية لما لها من دور أساسي في تشكيل شخصياتهم وتكاملها، كذلك، تعد إحدى عمليات التعلم التي يكتسب من خلالها الأبناء العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم السائدة في بيئتهم الاجتماعية التي يعيشون فيها.

تسهم أطراف عديدة في عملية التنشئة الاجتماعية كالأسرة، والمدرسة، والرفاق، إلا إن أهمها الأسرة كونها النواة الأساسية في المجتمع، وكونها تنفرد بتشكيل شخصية الطفل خلال السنوات الأولى من حياته. يعبر عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركهايم عن مفهوم التنشئة الاجتماعية بأنها " الفعل الذي تمارسه الأجيال البالغة على الأجيال التي لم تنضج بعد للحياة الاجتماعية. وتقوم هذه العملية على إثارة مجموعة من الحالات الجسدية والذهنية والأخلاقية لدى الطفل حسب ما يتطلبه المجتمع، وحسب الوسط الخاص الذي ينتمي إليه.[21]

كذلك، تحدد الباحثة عصمت حوسو مراحل عملية التنشئة الاجتماعية بثلاث مراحل رئيسية:

- التنشئة الاجتماعية المبكرة: تظهر في مرحلة الطفولة المبكرة، وتعتبر أهم وأخطر مرحلة في حياة الإنسان حيث يتعلم الأطفال خلالها بشكل مكثف محتويات الثقافة المحيطة من قبيل: اللغة، وأنماط السلوك الأساسية، التي تشكل الأساس لمراحل التعليم اللاحقة. وتعتبر الأسرة أول مؤسسة اجتماعية أساسية في هذه العملية وفي هذه الفترة يتعلم الأطفال المطلوب منهم ليتم قبولهم في المجتمع خصوصاً اللغة والمهارات اللازمة في عملية التفاعل الاجتماعي مع الآخرين.
- التنشئة الاجتماعية الثانوية: وتمتد هذه المرحلة من الطفولة المتأخرة حتى مرحلة البلوغ، وتأخذ مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى بعض المسؤوليات عن الأسرة في هذه المرحلة: كالمدرسة، والأصدقاء، والإعلام، ومؤسسات المجتمع المختلفة، ثم أماكن العمل والتفاعل الاجتماعي الذي يتم ضمن هذه الأطر، والذي ساعد الناس على تعلم القيم والعادات والمعتقدات التي تشكل وتكوّن الأنماط السائدة في الثقافة المجتمعية المحيطة.
- التنشئة الاجتماعية المستمرة: وهي التي تزود الأفراد ذكوراً وإناثاً بالأسس الرئيسية لاكتساب الأدوار المختلفة التي سوف يمارسونها خلال حياتهم، فهي عملية مباشرة تستمر طوال حياة الفرد. ولها أنماطها المختلفة حسب تطور المجتمع فهي عملية دينامية متطورة.[22]

ثانياً ـ التنشئة الجنسية:

تعتبر التنشئة الجنسية جزءاً من التنشئة الاجتماعية، ويمكن تعريفها على أنها مجموعة الأنساق الثقافية من أفكار ومعتقدات وطرائق تتبناها المجتمعات من أجل تحديد شكل تفاعل الأفراد مع المواضيع المتعلقة بالجنس والعملية الجنسية. ينعكس النسق الثقافي على سلوك الأفراد من خلال تحديده للقواعد العامة للسلوك والخطاب واللباس واللغة، وبناء التوقعات والأحكام والأدوار

[21] - الأمين، عدنان التنشئة الاجتماعية وتكوين الطباع، المركز الثقافي العربي، 2005، ط1

[22] حوسو، عصمت، الجندر: الأبعاد الاجتماعية والثقافية، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009 ص 112-113

- لكلا الجنسين - المرتبطة بنسق اجتماعي كلي يتبع بدوره النظام الاجتماعي السائد في ظل الثقافة المحيطة. ينبه الباحث عبد الصمد الديالمي من خطأ " الخلط بين التنشئة الجنسية والتربية الجنسية"، حيث يعتبره خلطاً أولياً ينبغي تجنبه لأن التنشئة الجنسية تهدف لبناء هوية النوع الاجتماعي للفرد (gender identity)؛ بمعنى أن الرجل والمرأة ليسا مجرد معطيين بيولوجيين إذ لا يجوز اختزال الرجل في ذكورته (الذكر) واختزال المرأة في أنوثتها (الفرج). فالذكر والفرج معطيان بيولوجيان يشكلان فقط الهوية الجنسية للفرد. في ظل القيم التقليدية السائدة، تحولت ذكورة الرجل إلى سلطة وامتيازات اجتماعية؛ أي إنها أصبحت تمثل الموقع الاجتماعي المسيطر. بالمقابل، تحولت الأنثى لتشغل مواقع وأدوار اجتماعية هامشية تابعة. إن التنشئة الاجتماعية هي فعل تاريخي اجتماعي، الأمر الذي يبين أن التراتبية بين الجنسين ليست معطى بيولوجيا وأنها قابلة للتجاوز"[23]

في مقابل ذلك، يتسع مفهوم التربية الجنسية ليشمل جميع النواحي الجنسية العامة مثل التعليم والتربية (التشريح الجنسي - التكاثر - الصحة الجنسية)، بالإضافة إلى جميع نواحي الفعالية الجنس الشخصية التي تشمل (العلاقات العاطفية – النظرة الجسدية - التوجه الجنسي - القيم - أخذ القرارات - التواصل). ويتم تعلم التربية الجنسية عن طريق الوالدين والبرامج الدراسية، وبرامج التوعية الصحية. وينبه الديالمي إلى خطر اختزال مفهوم التربية الجنسية بعملية الممارسة الجنسية حيث يذهب الحس المشترك عند سماع عبارة التربية الجنسية إلى الاعتقاد بأنها تعني فقط إكساب واكتساب تقنيات ممارسة الجنس، وهو اختزال خطير لأن المفهوم أغنى وأعم، يشمل مضامين أخرى، مثل المضامين التشريحية والوقائية بالإضافة إلى مضمون قيمي متعلق بالمساواة بين الجنسين في الحقوق الجنسية. ما ينبغي معرفته حول مفعول التربية الجنسية هو أن كل الدراسات تبين أنها تدفع الشباب إلى تأخير بداية النشاط الجنسي، وأنها على عكس البورنوغرافيا لا تعمل على إثارة الشباب جنسياً، فهي تعلم الشباب تجنب أخطار الأمراض الجنسية، أو الحمل غير المرغوب به. وتسعى إلى إفراز فرد سليم جنسياً في مجتمع سليم جنسياً. إن التربية الجنسية هي امتناع عن تحويل الجنس إلى تابو، أي إلى شيء نخافه لاعتبارات عائلية واقتصادية (فنحرمه باسم المقدس). حين يكتشف الطفل عضوه الجنسي، توصي التربية الجنسية بعدم دفعه الى تحويل عضوه إلى عورة وإقناعه بأنه مصدر إثم وخطر. وإذ تتبنى التربية الجنسية مبدأ الاباحة بمفهومها الإيجابي، فهي إدراك وتقبل للأعضاء الجنسية كأعضاء طبيعية لها حاجات ووظائف طبيعية، بهذا المعنى يجب أن نفهم الاباحة المؤسسة للتربية الجنسية والمرتبطة بها، وبالتالي، لا يمكن الإقرار أبداً بأن التربية الجنسية منافية للأخلاق، إنها منافية لأخلاق معينة فقط، وهي تحمل أخلاقاً خاصة، مغايرة، جديدة، تقطع بشكل جذري مع الذكورية والأبوية. وبالتالي لا مجال للربط بين الحرية الجنسية وبين الفوضى أو الإباحية أو الخيانة وتعدد الشركاء، أو البوهيمية، والرهان هو أن يقتنع المربي (بمختلف أشكاله) بهذه الأخلاق المختلفة الجديدة، غير المسايرة للاشعور الأبوي في أشكاله الدينية وغير الدينية.[24]

ثالثاً - العنف والعنف ضد المرأة:

عرفت منظمة الصحة العالمية العنف (Violance) في التقرير العالمي حول العنف والصحة (WRVH) على أنه: "الاستخدام المتعمد للقوة الجسدية أو اللفظية أو النفسية، ضد شخص آخر أو مجموعة أو مجتمع، الأمر الذي يتسبب بإصابات جسدية أو الأذىً النفسي أو الوفاة." ولا يقصد بالعنف في هذا التعريف العنف الجسدي فقط، ولكن كل فعل ينتج عنه أذى

[23] - الديالمي، عبد الصمد، سوسيولوجيا الجنسانية العربية. دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى 2009. ص 149 – 150.
[24] - المرجع السابق، ص 150 - 151

نفسي أو عاطفي وبالتالي، يمكن تصنيف أفعال التلاعب النفسي أو الإهمال أو التجاهل على أنها أعمال عنيفة.

كذلك، عرّفت الأمم المتحدة العنف الممارس ضد المرأة تحديدًا بأنّه: "أيّ فعلٍ عنيفٍ تدفع إليه عصبية الجنس ويترتب عليه، أو يرجح أن يترتب عليه، أذى أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية الجسمانية أو الجنسية أو النفسية، بما في ذلك التهديد بأفعالٍ من هذا القبيل أو القسر أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة"، العنف بشكله العام هو ظاهرةٌ اجتماعيةٌ مركّبةٌ لا يمكن تفسيرها أو ردّها إلى عاملٍ واحدٍ فقط، فمن المتفق عليه أن هناك مجموعةً كبيرةً من العوامل التي تتفاعل وتتراكب، ويؤثر بعضها في بعضها الآخر، مفجّرةً أعمال العنف، الأمر الذي يدفع إلى تحري الأسباب المباشرة والأسباب غير المباشرة التي تعمل على توليد هذه الظاهرة بمختلف مستوياتها. وقد أوضح إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن القضاء على العنف ضد المرأة في عام 1993 في المادة الثانية أشكال العنف ضد المرأة [25] كالآتي:

أ ـ العنف الجسدي: يعرف بأنه استخدام الأيدي والأرجل أو أي أداةٍ من شأنها إلحاق الألم بالمرأة، وترك آثارٍ واضحةٍ على جسدها والذي يتخذ أشكالًا متنوّعةً مثل الضرب والحرق والدفع والخنق والرمي وشد الشعر.
ب ـ العنف النفسي: ويعرف بأنه كل الأعمال المسيئة إلى نفس وكرامة الفرد، ويعبر هذا النوع من العنف عن أشكال الضغط غير المباشرة والمستترة على وعي الناس ونفسياتهم. ولعل أهم تجلياته تكون بإهمال المرأة وعدم المبالاة بها وعدم الاستماع إلى آرائها وانتهاك حقوقها الأساسية وإقامة علاقاتٍ مع نساءٍ أخرياتٍ والتعامل بفظاظةٍ وخشونةٍ والتهديد بالقوة.
ج ـ العنف الجنسي: وهو لجوء الرجل إلى استخدام قوته أو سلطته لممارسة الجنس مع شريكته من دون مراعاةٍ لرغباتها الجنسية، أو ربما إجبارها على ممارسة أساليبَ جنسيةٍ خارجةٍ عن رغبتها وخارجةٍ عن المألوف بقصد إذلالها أو تحقيرها. ويدخل في هذا الإطار الاغتصاب الذي يعدّ أقسى أشكال العنف.

يضاف إلى تلك الأشكال من العنف:

د ـ العنف اللفظي: وهو استخدام ألفاظٍ تجرح وتحطّ من كرامة المرأة وآدميتها، وقد تخرج في صيغٍ كلاميةٍ بذيئةٍ وقاسيةٍ. يتجلى هذا العنف في رفع الصوت عند المخاطبة، أو الإهانة والشتم والسب والتحقير، وقد تكون، من حيث استدامة تأثيرها، أشد وقعًا من الضرب، إذ يقف العنف اللفظي عند حدود الكلام الذي يرافق الغضب، وذلك من أجل الإيذاء أو خلق جوٍّ من الخوف.
هـ ـ العنف الصحي: وهو فرض ظروفٍ صحيةٍ غير مناسبةٍ على المرأة وحرمانها من التمتع برعايةٍ صحيةٍ مناسبةٍ لظروفها. ولعل أهم أشكال العنف الصحي يتجلى في الإجهاض القسري، أو الإجبار على الحمل المتعدد وعدم السماح لها بتنظيم الحمل، أو الحرمان من مراجعة الطبيب لسببٍ أو لآخر، والحرمان من التغذية الجيدة، الأمر الذي قد يؤثر سلبًا على صحتها.

[25]- انظر: بسيوني، محمود شريف، الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان، الوثائق العالمية، المجلد الأول، القاهرة، دار الشروق، 2003، ص 460.

و ـ العنف الاقتصادي: وهو فرض الرجل سيطرته وسيادته على المرأة بالضغط عليها من الناحية الاقتصادية، كحجب مشاركته المالية، أو الاستحواذ على مدخلاتها المالية، وعدم تلبية حاجات الحياة المالية الأساسية[26] .
ز ـ العنف الرمزي: يعتبر العنف الرمزي من المفاهيم الاجتماعية المعاصرة، ويعني أن يفرض المسيطرون طريقتهم في التفكير والتعبير والتصور بما يكون أكثر ملاءمة لمصالحهم، ويتجلى في ممارسات قيمية ووجدانية وأخلاقية وثقافية تعتمد على الرموز كأدوات في السيطرة والهيمنة مثل اللغة، والصورة، والإشارات، والدلالات، والمعاني، فهو عنف نائم خفي وغير مرئي وغير محسوس حتى بالنسبة لضحاياه.[27]

يحدد الباحث مصطفى حجازي مفهوم العنف في كتابه "التخلف الاجتماعي سيكولوجيا الإنسان المقهور" بأنه لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين، حيث يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي، وحين تترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمته. والعنف هو الوسيلة الأكثر شيوعًا لتجنّب العدوانية التي تدين الذات الفاشلة بشدة، من خلال توجيه هذه العدوانية إلى الخارج بشكلٍ مستمرٍّ، أو دوريٍّ، وكلما تجاوزت حدود احتمال الشخص[28]. من جانب آخر، يرى الباحث د. نزار عيون السود أن أحد أهم أسباب جذور العنف الجنسي ضد المرأة قادم من أساليب التنشئة الجنسية التمييزية التي تتسم بعدم المساواة بين الذكور والإناث، وبالتمييز السلبي على أساس الجنس. حيث يسيطر الذكور، وتُستغل الإناث. وتعتبر المرأة امتداداً لملكية الرجل، وطرفاً وظيفته الأساسية تلبية احتياجاته الجنسية. ويعتقد عيون السود أن تكريس هذه الهيكلية، في ثقافة البطريركية (الأبوية)، وتقديم الغطاء الاجتماعي والقانوني لها، هو ما يمهد لحجز المرأة على الدوام في مساحة غير آمنة، سواء في الفضاء الخارجي (الشارع أو العمل) أو داخل المنزل. حيث لا تزال فكرة ملكية الزوج لزوجته فكرة تعززها ثقافة المجتمع وقوانينه، إذ تعتبر الرجل هو من يملك القوة والسيطرة بفعل نصوص دينية وأعراف اجتماعية.[29] إن هذه الثقافة، على سبيل المثال، تلغي حق المرأة في الموافقة على ممارسة الفعل الجنسي مع الزوج، ليتحول الزواج إلى صك موافقة دائم منها على ممارسة الجنس معه ساعة يشاء، وأي رفض هو سبب كاف لممارسة العنف بدعم من العرف الاجتماعي والنص الديني. وقد ارتبط العنف ارتباطا وثيقاً بمفهوم القوامة: قوامة الرجل على المرأة، وإعطاء الذكر تفوقاً في المكانة الاجتماعية، والأحقية الأكبر في اتخاذ القرار وامتلاك السلطة.

المطلب الثالث: السمات العامة للتنشئة الجنسية الأسرية في محافظة السويداء

تدعم نتائج البحث الميداني حزمة الاستنتاجات النظرية السابقة، وتحدد آليات حدوثها في مجتمع البحث. بناء على ذلك، قدمت مجموعة البحث تقريراً إجرائياً خاصاً بالدراسة المسحية، ثم عمدت إلى استخلاص النتائج مبوبة وفق فذات العينة المبحوثة.

أولاً ـ التقرير الإجرائي للدراسة المسحية:

- تم تصميم استبانة مسح رأي بهدف قراءة التوجهات والتصورات العامة لدى عينة عشوائية من الأسر في محافظة السويداء، بهدف رصد واقع التنشئة الجنسية الأسرية، بالإضافة لرصد

[26]- انظر: أ د. كواكب صالح البيراماني، ابتسام هادي كاظم، العنف ضد المرأة دراسة ميدانية في مدينة بغداد، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد التاسع عشر، ص 325- 328. (بتصرف)
[27] - بورديو، بيير - الهيمنة الذكورية-المنظمة العربية للترجمة-2009- ص 60
[28]- انظر: حجازي، مصطفى، التخلف الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، (1976)، ص 263.
[29] - د. نزار العيون السود، مقابلة خاصة بتاريخ: 24/10/2022

بعض السمات والأساليب العامة المتبعة، وذلك من خلال التوجه بأسئلة غير مباشرة للمستهدفين. بالإضافة لقياس مدى معرفتهم بمفهوم التربية الجنسية واستعدادهم له.

- استهدفت الاستبانة 3 شرائح مختلفة؛ وهي: (الأهالي ـ اليافعون ـ اليافعات) بمعدل 50 شخص لكل مجموعة مستهدفة.
- توجهت الاستبانة بمجموعة من الأسئلة المشتركة لليافعين واليافعات، لقراءة مؤشرات التفاوت في الإجابات، ورصد طريقة التنشئة التي تعرضوا لها.
- زودت الاستبانة البحث بمؤشرات تفيد في تحديد بعض السمات والتوجهات العامة لدى شريحة عشوائية من أهالي محافظة السويداء (نطاق البحث الجغرافي) مع مراعاة تمثيل العينة المستهدفة بالمسح لطيف واسع من المجتمع، استثنيت منه الأسر ذات المستوى الاقتصادي المرتفع.
- راعت العينات المستهدفة الجنس والعمر والمستوى التعليمي ومكان الإقامة (ريف/ مدينة)، بنسب متقاربة
- تم تنفيذ الاستبانة فيزيائياً من خلال لقاء مباشر مع الباحث
- تم تنفيذ الاستبانة في محافظة السويداء/سوريا، خلال شهر تشرين 1/أكتوبر 2022
- تم التحقق من ثبات وصدق الاستبانة بواسطة معامل كرونباخ ألفا
- تم تحليل الاستبانة باستخدام برنامج SPSS الذي يوفر خاصية الارتباط ثلاثي الأبعاد.
- هذه الدراسة مزودة بروابط نتائج الاستبانة وتحليلها (غوغل درايف) في الهوامش، وفي نهاية البحث ضمن قائمة المصادر والمراجع.

ثانياً ـ نتائج الاستبانة:

طبقاً لاستجابة المجموعات، يصنف البحث نتائج الاستجابة لكل مجموعة على حدة.

1 ـ استبانة الأهالي:[30]

يمكن ملاحظة ما يلي في تحليل استبانة الأهالي:

- النسبة الأعلى من الأهالي إما تتجاهل أسئلة الأطفال الجنسية، أو تقدم لهم معلومات مضللة وغير صحيحة، وهي الطريقة الغالبة في محاولة من الأهالي لإرضاء فضول الطفل دون إخباره الحقيقة. ومن الملاحظ أن معظم الإجابات تفيد إما التهرب خجلاً أو عدم المعرفة بطريقة الإجابة الصحيحة. ولذلك فإن ما نسبته 60.8% من الأهالي يتركون أبناءهم دون إجابات عن الأسئلة المتعلقة بالجنس.
- يتضح أن نسبة كبيرة من الأهالي تستخدم أسلوب التعييب والتحريم في المواضيع المتعلقة بالجنس كنوع من ضبط سلوك الأطفال في سن مبكرة قبل أن يعي الطفل معاني هذه الكلمات ودلالاتها.
- تشير نسبة عالية من الإجابات إلى حالة تمييزية سلبية تجاه الأنثى، يترافق مع قلق عالٍ من التسبب بوصمة عار للعائلة، وتجد في تزويج الفتاة حماية(سترة) لها.
- لا يوجد عند معظم الأهالي فهم واضح لكيفية حماية أطفالهم من خطر التحرش.
- تتضح مؤشرات العنف والتستر والكتمان والخوف من الوصمة الاجتماعية، في أي قضية اعتداء جنسي قد تتعرض لها فتاة مع وجود نسبة جيدة تؤكد ضرورة دعم الفتاة في المشكلة التي تعرضت لها. ومن الملاحظات أن بعض المستجيبين رأوا أن الفتاة قد تكون سبباً في تعرضها للتحرش من خلال" تصرفاتها أو لباسها الفاضح" بحسب تعبيرهم.

[30] - https://drive.google.com/file/d/1VR4mjy_bPd6JTOEREGsbkdKLFGv3Dr6m/view?usp=share_link

- العقاب والتحريم هو التصرف الغالب للأهالي في حالات تصرف أطفالهم أو قيامهم بأي سلوك أو لعب جنسي.
- ما يقارب نصف العينة المدروسة تفضل قيام الأب بتربية الابن والأم بتربية الابنة، والإجابة على أسئلتهم. وأوضحت الإجابات أنه غالباً ما يمتنع الآباء عن إجابة بناتهم، وإحالتها إلى الأم. وكما هو واضح في الإجابات السابقة المتعلقة بكيفية التعامل مع الأسئلة الجنسية، غالباً ما تكون الإجابات مضللة وخاطئة أو يتم قمع السؤل. وفي المجمل فإنه من النادر أن يعرف الأهل الطريقة الصحيحة للإجابة، والمتناسبة مع العمر.
- توافق معظم الأهالي على ضرورة التكيف مع قيم المجتمع الحالية، حتى لو لم تكن مقتنعة تماماً ببعض عاداتها أو معاييرها. أي أهمية الانصياع لضوابط وقيم المجتمع من أجل ضمان الاندماج والقبول الاجتماعي.
- قيمة الارتباط بين مستوى التعليم للأهالي ومعظم إجابات ضعيف.
- نسبة الثلث من العينة المدروسة شجعت على وجود التربية الجنسية في المناهج الدراسية، وثلث يرون بضرورة الفصل بين الإناث والذكور في حال وجود حصة للتربية الجنسية، خشية أن يصبح الحديث بالمواضيع الجنسية مباحاً بين أبنائهم. وهناك نسبة من الأهالي رفضوا كلياً الفكرة وأنهم سوف يحتجون إذا ما نفذت.

2 - استبانة الشباب:[31]

يمكن ملاحظة ما يلي من نتائج تحليل استبانة الشباب:

- المعرفة الجنسية (عملية التكاثر) تبدأ عند الذكور بسن مبكرة بين 6 - 9 سنوات، بنسبة الثلث من الإجابات. ومن 9 -12، بنسبة الثلث، وبعد 12، بنسبة الثلث.
- عبر المشاركون في الاستبانة عن مشاعر مختلفة غالبيتها مشاعر غرابة ودهشة عند معرفتهم بالعملية الجنسية وآلية التكاثر، مع وجود نسبة 20% عبرت عن مشاعر خجل، بالإضافة إلى نسبة قليلة عبرت عن مشاعر مضطربة مثل الصدمة والاشمئزاز والخوف.
- نسبة 30% من العينة المدروسة اكتشفت أن إجابات الأهالي في غالبيتها كانت مضللة وغير صحيحة. ومجموع الإجابات التي كانت تعبر إما عن تجاهل أو توبيخ أو إجابات خاطئة ومضللة من قبل الأهالي تبلغ 64% أي أن ما يعادل حوالي ثلثي الأطفال لا يحصلون على أجوبة لأسئلتهم.
- مصدر المعلومات الأساسي للشباب سواء في الريف أو المدينة هو من الأصدقاء بأعلى تكرار ضمن العينة المدروسة، يليها وسائل التواصل والميديا بينما يكون دور الأسرة ضئيلاً في إيصال المعلومات الجنسية للأبناء الذكور.
- الخجل من طرح الأسئلة الجنسية منع الأبناء الذكور من الاعتماد على الأسرة كمصدر للمعلومات الجنسية.
- يلاحظ من تحليل الاستبانة أن تأثير المستوى التعليمي للأهل ضعيف على مدى الانفتاح والحوار مع الأبناء في المواضيع ذات الطابع الجنسي.
- عبر الشباب عن مستوى علاقات عاطفية أكثر انفتاحاً، مع وجود تخوفات من إعلان المشاعر والبوح عنها بشكل طبيعي.
- أكثر من النصف من المشاركين الشباب في الاستبانة شجعوا على وجود مادة التربية الجنسية في المدارس، مع وجود عينة رفضت هذا الأمر وعارضته. أو كانت حيادية.

[31] - https://drive.google.com/file/d/1evoYrz1wTr81vNHhIBUnPkaVW0_UxP0G/view?usp=share_link

3 ـ استبانة الشابات:[32]

يمكن ملاحظة ما يلي من تحليل استبانة الشابات:

- المعلومات الجنسية الأساسية (عملية التكاثر) تبدأ عند الإناث بسن متأخرة قياساً بالذكور حيث نلاحظ أن نسبة 72% من الفتيات يعلمن حقيقة كيف أتين إلى الحياة فوق سن 12 سنة، فيما تغيب المرحلة بين 6-9 سنوات من إحصاءات الفتيات.
- نسبة 30% من العينة المدروسة اكتشفت أن إجابات الأهالي في غالبيتها مضللة وغير صحيحة. ومجموع الإجابات التي كانت تعبر إما عن تجاهل أو توبيخ أو إجابات خاطئة ومضللة من قبل الأهالي تبلغ 68% أي أن ما يعادل حوالي ثلثي الأطفال لا يحصلون على أجوبة لأسئلتهم.

- عبرت المشاركات عن مشاعر مختلفة عند معرفتهن بالعملية الجنسية وآلية التكاثر، وكانت في معظمها مشاعر تتسم الغرابة والدهشة، مع وجود نسبة أعلى من الذكور من اللاتي عبرن عن مشاعر مضطربة مثل الاشمئزاز والخوف والخجل أعلى من الذكور

- الشعور بالخجل من الأحاديث المتعلقة بالجنس أمام الأهل سمة عامة عند المشاركات.

- ثمان فتيات من أصل خمسين (16%) لم تكن لديهن فكرة عما يحدث عندما أتت دورتهن الشهرية للمرة الأولى.

- غياب واضح للأسرة كمصدر للحصول على المعلومات الجنسية مقارنة بالمصادر الأخرى المتاحة حيث كان الأصدقاء (الأقران) المصدر الأول للمعلومات ثم الميديا كمصدر ثان.

- لم يتضح في الدراسة المسحية وجود علاقة ذات مؤشر واضح لمستوى الأب أو الأم التعليمي وكيفية تنشئة بناتهم جنسياً.

- عبرت المشاركات عن انفتاح أقل من الذكور للعلاقات العاطفية، نلاحظ وجود مخاوف لدى الفتاة في الريف من البوح بالمشاعر من خلال رفض الحديث مع شاب صرح بمشاعره نحوها مقارنة بفتيات المدينة واللواتي لديهن استعداد أكبر للمصارحة عن تلك المشاعر بنسبة الضعف مقارنة بفتيات الريف. مع ظهور مؤشرات خوف من الأهل وردود فعلهم.

- تفضل معظم الفتيات إخفاء تعرضهن لتحرش جنسي عن الأهل.

- النسبة العظمى من الإناث المشاركات بالاستبيان تشجعن على وجود مادة التربية الجنسية في المدارس، وبنسبة أعلى من موافقة الذكور.

4 ـ مؤشرات تحليلية لسمات التنشئة الجنسية الأسرية في محافظة السويداء:

[32] - https://drive.google.com/file/d/12qbQlxq1NVKm3tINtgBraSTT-47nLhFt/view?usp=share_link

- تأثير الأسرة الإيجابي بمدى المعرفة الجنسية للأطفال واليافعين واليافعات ضعيف.
- ضعف قنوات التواصل وغياب ثقافة الحوار بين الأهالي وأطفالهم.
- التنشئة الاجتماعية العامة تعتبر التطرق والحديث عن الجنس أو الثقافة الجنسية أمر معيب ومخجل.
- يدفع تجاهل الأهل وترك أبنائهم دون إجابات صحيحة عن أسئلتهم الجنسية إلى البحث عنها في مصادر أخرى خارج نطاق الأسرة.
- أن اللغة المباشرة التي تربط بين سلوكيات الأطفال العفوية، وبين التحريم والتعييب، يدفع الأبناء للشعور بالإثم والخجل، وهذا يتم في بيئة لا تتوفر فيها شروط الحوار والانفتاح لاسيما في موضوعات حساسة ومهمة كالحياة الجنسية للأطفال والمراهقين/ات. كما تعمل هذه اللغة على قمع التواصل، وتؤسس لعمليات الكبت.
- لدى معظم الأهالي تخوف من تعرض أبنائهم للتحرش، وأظهرت نسبة 37.3% أن مساعدة أبنائهم وبناتهم ضرورية في التعرف على حدود أجسادهم والمخاطر المحتملة، وإعطائهم نصائح حول كيفية حماية أجسادهم من أي سلوك غير طبيعي ممكن أن يُمارس عليهم
- بعض المستجيبين رأوا أن الفتاة قد تكون سبباً في تعرضها لاعتداء جنسي من خلال "تصرفاتها أو لباسها الفاضح" على حد تعبيرهم. ونسبتهم 12.2% من العينة. وهي نسبة خطيرة طالما أن السؤال افتراضي لفتاة افتراضية، والعينة المجيبة لم تتعرض للضغط الاجتماعي. ومشاعر التوتر والانفعال.
- تأخر الفتيات عن الذكور في الحصول على المعلومات الجنسية.
- ارتفاع مؤشرات الانفتاح العاطفي عند الشباب قد يكون مؤشراً على عدم ربط العواطف بالدلالات الجنسية، كما يمكن أن يشير إلى تخلخل في بنى التنشئة الاجتماعية الراسخة، وهو مؤشر نحو التغيير.
- بعض العائلات متدينة ولا تتقبل الحديث بهذه المواضيع نهائياً وبعضها الآخر متمسك بالعادات والتقاليد، ويعتبر تناول هذه الموضوعات للنقاش ضمن الأسرة معيباً. ويقلل من روابط الاحترام بين الأبناء والأهل.
- لاحظ الباحث عند عدد من الأهالي من العينة المبحوثة أثناء إجراء الاستبانة جهل بمفهوم التربية الجنسية، وخلط بينه وبين العملية الجنسية أو العلاقات الجنسية.

المطلب الرابع: أساليب التنشئة الجنسية الأسرية وتغذية العنف:

تختلف أنماط التنشئة الجنسية التي يتلقاها الأبناء تبعاً لاختلاف الأنماط الثقافية للأسر، ودرجة تمسكها بمنظومة الأعراف والتقاليد السائدة، أو بدرجة انفتاحها على الأنماط الحديثة في التربية. خلال جلسة نقاش مركزة أقيمت لمجموعة من الخبراء المحليين والمختصين في السويداء من أجل بحث أساليب التنشئة الجنسية الأسرية وعلاقتها بالعنف، خلص المشاركون إلى وجود ثلاثة أنماط عامة من الأسر في محافظة السويداء، ويمكن تصنيفها كما يلي:

- الأسر المحافظة: المرجع الأساسي لها هو الدين، والثقافة السائدة، والعادات، والتقاليد. لذلك تعتبر الجنس خادشاً للحياء والعفة، وهذا ما يقود الطفل لبناء أفكاره بنفسه حول الجنس معتمداً على الخيال والرؤية الفردية، أو على المعلومات المستقاة من الأقران. غالبا ما تكون مرتكزات هذه البنية المعرفية الجديدة لدى الطفل قائمة على التعييب والتحريم والكبت، وهي بالمجمل تتسم بالتناقض، وبعيدة عن المفاهيم الصحيحة والصحية للجنس.

ـ الأسر السلبية (غير الفاعلة): هذه الأسر لديها جهل في التربية الجنسية، وبالتالي، ليس لديها دور في اكساب الطفل معارف حول الجنس مما يجعل الطفل غير محمي من الأفكار المتسربة له من مصادر مختلفة (الشارع ـ الأقران ـ المدرسة ـ الانترنت ـ الأفلام الإباحية). وقد يؤدي ذلك إلى نتائج سلبية على المستوى النفسي والسلوكي.
ـ الأسر الإيجابية (الفاعلة): هذه الأسر تمتلك درجة من الانفتاح على التجارب الحديثة في التربية، ولا تتبنى الأساليب التقليدية السائدة بشكل كامل، بل تسعى لصياغة دور فاعل في حياة أطفالها خارج نسق القيم التقليدية، حيث تعتمد على المعرفة العلمية والحوار، والنصح، والإرشاد، والتقبل.[33]

بطبيعة الحال، هناك سمات عامة لأساليب التنشئة الجنسية الأسرية السائدة ضمن النسق الثقافي العام للمجتمع، وقد تكون ذات أثر سلبي في تغذية جذور العنف بشكل عام، والعنف الموجه ضد المرأة بشكل خاص. يمكن ربط انعكاس تلك السمات وأثرها على تغذية العنف ضمن ثلاثة أبعاد أساسية تتقاطع فيما بينها لتنتج نمطها الخاص من العنف؛ يرتبط الأول بالبعد الاجتماعي الثقافي ومرتكزاته التي تتمثلها الأسرة من خلال التماهي مع المجتمع المحيط. في حين يرتكز الثاني على بعد سيكولوجي يؤسس للقهر وعمليات الكبت. ويرتبط الثالث بالبعد المعرفي والمتمثل بالجهل بالطرائق الصحيحة للتعامل مع الأطفال وأسئلتهم الجنسية، وانعكاس ذلك على البنية النفسية والمعرفية للأطفال.

أولاً ـ البعد الثقافي:

يعالج البحث في ثنايا البعد الثقافي جملة من الظواهر الثقافية المؤسسة لأساليب التنشئة الجنسية. تشمل هذه الظواهر التنميط الجنسي المفضي إلى سلوك عنفي من خلال تعزيز التفوق الذكوري وإيلائه سلطة القوامة. بذلك، تغدو مساحة التفاعل الاجتماعي بين المرأة والرجل ميدان صراع لإثبات الهوية. كذلك، يعالج شحن الأهل أبناءهم بمنظومة قيمية تعتمد آليات التخويف والاتهام والاختزال كجزء من عمليات التلقين القسري بهدف تحقيق توافق سلوك الأبناء مع منظومة القيم السائدة.

ـ التنميط الجنسي وتكريس العنف:

يعرف التنميط الجنسي على أنه "اكتساب السلوك المرتبط بالأدوار الجنسية الذكرية أو بالأدوار الجنسية الأنثوية، في مراحل النمو المختلفة.[34] ويعمل هذا النوع من التنميط على غرس الاتجاهات وأوجه النشاط التي تناسب جنس الطفل (ذكر أو أنثى) وذلك من خلال ما تم التعارف عليه في الثقافة التي ينشأ فيها الطفل، فالمعتقدات والاتجاهات وأوجه النشاط الاجتماعي التي تتم فيها التنشئة، هي التي تحدد الأدوار المناسبة لكل جنس. ومن الطبيعي أن يتفاوت الأهالي في اتجاهاتهم نحو سلوك أبنائهم، ولكن بصورة عامة ينظر إلى بعض صفات السلوك كالعدوان البدني الظاهر، السيطرة، التخريب، العناد، الغضب، والاستقلال، بأنها سمات تخص الذكور، بينما الخوف، الاتكالية، الضعف، الوقار الاجتماعي، العاطفة هي من صفات الإناث.

وتتسم أساليب التنشئة الجنسية الأسرية السائدة في بيئة مجتمع الدراسة (محافظة السويداء) بحسب الأخصائية في علم النفس التربوي: د. نجوى نادر " بالتنميط الجندري والتمييز على أساس الجنس بدءاً من المراحل المبكرة من حياة الطفل (من حيث اختيار ألوان الملابس، ونوعية الألعاب لكل من الذكور والإناث، وطريقة التعامل مع الحاجيات الأساسية اليومية) إن هذه التنشئة تعمل على تكريس صفات محددة على كل من الذكور

[33] - جلسة نقاش مركزة، السويداء، تاريخ: 2022/9/30.
[34] - رشاد موسى- سيكولوجيا الفروق بين الجنسين-مؤسسة المختار -القاهرة- 1990- ص 14.

والإناث وتضعهم في قوالب وتصنيفات تعميمية لا تعبر عن حقيقة ذواتهم.[35] كما أن معظم الآباء والأمهات يميزون في المعاملة بين الذكور والإناث خلال سنوات الطفولة، فمثلاً يهتمون اهتماماً بالغاً بتحصيل الأولاد واستقلالهم، وبدفعهم للمنافسة وتحملهم المسؤولية، أما الفتيات فإن التركيز والاهتمام يكون أقل على جانب المنافسة، وأكثر على الجوانب الخلقية والسلوكية مثل الاستقامة واستحقاق الثقة. ويشجع الوالدان في الغالب على الاستكشاف والتجريب في الحياة بالنسبة للأولاد الذكور واكتسابهم السلوك الملائم لجنسهم من ناحية السمات الذكورية، في حين يكونوا مع الإناث أكثر قلقا ويزيدون من تقييد أنشطتهن ويشرفون عليهن إشرافاً دقيقاً. تقول (س.ح) وهي فتاة في نهاية المرحلة الثانوية: " لا أستطيع أن أخرج من البيت من دون موافقة أهلي حتى ولو أردت الذهاب إلى السوبر ماركت في حين أخي يصغرني بثلاثة أعوام ليس مضطراً بأن يخبر أحداً أو يأخذ الإذن إذا أراد الخروج من المنزل، أبي يقول: أخوك أصبح شاباً يجب أن يتعلم ويختبر الحياة."[36] وبطبيعة الحال لا يتوقف التنميط الجنسي على الوظائف والأدوار المناطة بكل من الذكر والأنثى بالمجتمع، بل ينسحب ذلك على السلوك المتوقع لكل منهما في مواقف معينة، ولا شك أن التنشئة الجنسية التي يتعرضون لها تهيئهم لهذه العملية. ونستطيع أن نميز في هذا التنميط الجنسي عدة آليات حاضرة في مجتمع الدراسة تكرس العنف ضد المرأة وتغذيه.

- تعزيز التفوق الذكوري:

وهو تعزيز شعور الأهمية والتفوق عند الطفل الذكر مقابل الأنثى، ويتم تكريس ذلك من خلال أسلوب التنشئة، الأمر الذي يغذي لديه إحساساً بتفوق بيولوجي طبيعي، يمنحه صلاحيات لا تستحقها الأنثى. لذلك فمن الشائع أن يتم التسامح مع أخطاء الذكر لاسيما بما يتعلق بالمواضيع الجنسية في حين لا يتم التسامح أو الاستهانة بأخطاء الإناث. وتجدر الإشارة هنا إلى ملاحظات رصدها الباحث في مقابلاته مع الأهالي في حين أرادوا تنبيه أطفالهم عن أي تعبير أو سلوك أو إيحاء ذو دلالة جنسية يصدر عنهم. ففي حين قد يستخدمون لغة مباشرة متطابقة في أفضل الحالات فإن الابتسامة لا تفارقهم في لحظات تنبيه ابنهم الذكر، بالمقابل فإن التجهم والانفعال والقلق يكون حاضراً عند توجيه التنبيهات والأوامر للإناث، ولا شك أن هذا الاختلاف في شكل التواصل، ينعكس على الأطفال وشعورهم تجاهه. وبالعموم فإنه يتم تربية الذكر وتلقينه بشكل مستمر، - إما بشكل مباشر أو غير مباشر - بأنه مسؤول عن أخته، مما يعطيه شعوراً بالتفوق وإحساساً بالسلطة عليها"[37]. ويتم تكريس هذا التفوق طوال مراحل النمو من خلال عدة مظاهر سلوكية ولغوية يستخدمها الأهل من قبيل الاحتفاء المستمر من قبل الأسرة والعائلة الكبيرة بمزايا الذكورة، هذه التنشئة مع الوقت تمنح السلطة والصلاحيات للطفل الذكر على حساب الطفلة الأنثى، وترسخ فكرة القوامة (أن الرجال قوامون على النساء.)[38]. كما أن هناك الكثير من الأساليب المختلفة التي تمارسها الأسر بشكل عفوي تعزز عند الطفل الذكر أهمية القضيب وتفوقه بامتلاكه له، ويتم الاحتفاء والتغني بقضيب الطفل من خلال طقوس مختلفة، قد يكون الطهور (ختان الذكور) أهمها. وكذلك ممارسات يومية تعزز عند الطفل شعوره بأهمية ما يمتلك، وحتى دعوته لإظهاره للمتفرجين المهللين. وفي هذا دعوة صريحة للطفل للتفاخر بقضيبه، وتربيته على عدم الخجل. على عكس الطريقة التي يتم بها التعامل مع العضو الجنسي الأنثوي، والتي تنحو باتجاه التعييب والتخجيل والتستر.

[35] - د. نجوى نادر، مقابلة خاصة بتاريخ 2022/10/28.
[36]- مقابلة خاصة أجراها الباحث بتاريخ 2022/11/02
[37]- د. نجوى نادر، مقابلة خاصة بتاريخ 2022/10/28.
[38] - جلسة نقاش مركزة، السويداء، تاريخ.2022/9/19

ولابد هنا من الإشارة إلى أن تربية السلوك العنفيّ والسلطوي عند الذكور تجاه الإناث وأن لم يظهر بشكل مباشر إلا أن هناك موافقة ضمنية دائمة عليه. في مقابلة أجراها الباحث مع والد لثلاثة أبناء (بنتين وصبي بكر) وهو متعلم وحاصل على شهادة جامعية. قال: أنه يرفض أن يقوم ابنه الذكر بضرب أياً من أخواته البنات مهما كان السبب. لكن عند سؤاله في حال كان السبب في التعنيف هو علاقة عاطفية للفتاة، قال: بأن الولد (يمون) على أخته، وهو إن فعل ذلك فمن حرصه عليها.[39] إن هذا السلوك في التنشئة ليس أمرا خاصاً بالأسرة الواحدة أو العائلة، إنما هو نسق ثقافي عام يمارسه المجتمع عبر تبنيه لمفهوم تفوق الذكر على الأنثى وامتلاكه السلطة عليها. في مقابل التوجس والتخوف من سلوك الأنثى ومما قد يجلبه من عار اجتماعي. فمن الشائع في مجتمع الدراسة حرص الأهالي على تزويج الفتاة واعتبار الزواج حماية لها (سترة)، والسترة تأخذ هنا دلالات ومعاني جنسية، فجسد المرأة المختزل في بعده الجنسي هو عورة يجب أن تستر وتصان وتحمى. وأن تكون تحت وصاية رجل بعد والدها أو أخوتها الذكور. بحيث تلبى رغباتها تحت جناح السترة. وقد أظهرت الاستبانة الموجه للأهالي بأن أكثر من 70% يوافقون على عبارة (الله يستر عليها)[40] التي تقال عادة عن الأنثى في مجتمع الدراسة.

ـ إثبات الهوية:

حيث يخوض الطفل الذكر في سن مبكرة حربه في سبيل إثبات أحقيته بالانتماء إلى مجتمع الرجال، ويسعى لفعل كل ما يتوقعه منه هذا المجتمع، ويغدو هدفه الأعلى هو إظهار أدلة وبراهين على رجولته وفحولته، وعلى استبعاد كل الصفات الأنثوية عنه على أنها صفات تعريه من رجولته وتوسمه بالعار. وبطريقة مشابهة يتم التعامل مع الطفلة الأنثى ويبدأ تدريبها منذ الصغر على دحض الاتهامات وتبرئة نفسها أمام المجتمع من الشهوانية والانحلال الأخلاقي والرغبة بالجنس. فتصبح العفة والطهارة ورفض الجنس والاشمئزاز منه من البراهين التي يجب عليها إثباتها بشكل دائم طيلة حياتها.[41] ويرى المحلل النفسي د. مهيار الخشروم" أن إظهار أي عاطفة عند الذكر تعتبر نوعا من التخلي عن هويته الذكورية، حيث ترتبط الرجولة الحقيقية لديه بعدم التعبير عن العواطف لأنها خارج نطاق العقلانية التي عليه أن يتحلى بها، فتصبح الذكورة امتحان دائم للذكر عليه أن يتجاوزه بنجاح في كل مرة. ومن جهة أخرى فإن ربط وارتكاز التنشئة الجنسية على فكرة المحافظة وربط العملية الجنسية بالشرف، هو ما قد يولد سلوكيات عنيفة ضد النساء بشكل خاص، باعتبار أن المجتمع يحمّل الذكر مسؤولية الإناث في الحيز الخاص به (أسرة وأقارب) فيكون اللجوء إلى العنف نوعاً من استرداد المكانة في الهرم الاجتماعي، ومداواة الجرح الحاصل في الهوية الذكورية.[42]

ـ التخويف والاتهام:

يعتبر التخويف أحد الآليات النفسية المتبعة في أساليب التنشئة الاجتماعية عموما والتنشئة الجنسية بشكل خاص حيث يتم التهديد بالعقاب أما بشكل مباشر أو غير مباشر جراء سلوك أو كلام ذو طبيعة جنسية يقوم به الأبناء، وإثارة مشاعر الخوف لديهم بحيث يصبح كل ما هو متعلق بالجنس مصدراً للخوف والقلق. وقد عبر الخبراء المختصون المشاركون في جلسة النقاش المركزة أن الاتهام من أكثر الأساليب المتبعة وأكثرها فاعلية

---

[39] - مقابلة خاصة مع أحد الأهالي.

[40] - أنظر تحليل استبيان الأهالي:
https://drive.google.com/file/d/1VR4mjy_bPd6JTOEREGsbkdKLFGv3Dr6m/view?usp=share_link

[41] - جلسة نقاش مركزة، محافظة السويداء، تاريخ: 2022/9/30

[42] - د. مهيار خرشوم، مقابلة خاصة بتاريخ: 2022/10/22.

في كيان الطفل، وأشدها استلاباً لهويته. ويتم ذلك من خلال التخويف والترهيب: تخويف الأنثى من مشاعرها ورغباتها وتذكيرها الدائم بالعقاب المتوقع من خلال طرح حالات لإناث تعرضن للتحرش أو الاغتصاب واعتبار ذلك درساً لكل فتاة لتصبح كلمة جنس مرعبة بالنسبة لها. وتخويف الطفل الذكر من النيل من ذكورته أو رجولته، وتحميله أعباء ومسؤوليات توجهه نحو تعنيف الأنثى واستلابها لإثبات هويته الذكورية في المجتمع.[43] ولا بد من الإشارة إلى أن هذا التنشئة المبنيّة على الاتهام المسبق لاسيما تجاه الأنثى، والتي تربط بين العفة والمرأة المحترمة وبين المتعة والمرأة المحتقرة، سينعكس في أحد أوجهه على طبيعة العلاقات الجنسية بين الأزواج، قد يتجلى كعنف نفسي وجسدي يحرم المرأة من حقها بالمتعة الجنسية أو طلبها أو التعبير عنها مع شريكها. ومن الملاحظ في الاستبانة الموجهة للفتيات أن النسبة العظمى من الفتيات 82% شعرن بالخوف والارتباك عندما أتتهن الدورة الشهرية للمرة الأولى، الأمر الذي يعكس حالة الخوف المكرسة في اللاوعي بكل ما يتعلق بموضوع الجنس.[44]

ـ الاختزال:

يعرف الاختزال بأنه عملية نفسية، يختصر فيها الشخص الآخر إلى أحد أبعاده، أو إحدى خصائصه فقط. ويبنى انطلاقاً من ذلك حكم يعمم على كل وجوده. وفي هذا اعتداء على إنسانيته وغناها، واعتداء على حريته في أن يكون غير ما نريد. والميول الاختزالية تمنع رؤية الآخر على حقيقته، فهي قد تبخسه، أو ترفعه إلى مصاف المثل الأعلى. وتنطلق الميول الاختزالية من اتجاهات أنانية، ألا يكون الآخر سوى ما نريد له. هذه الميول تتضمن لا محالة بذور الصراع العلائقي وفق وصف حجازي.[45]

وبالعموم يبدأ تحديد هوية الطفلة في المجتمع خلال التنشئة الجنسية الأسرية، بشكل غير مباشر من خلال ضبط سلوكها وحركات جسدها وطريقة لعبها، وهي تتعلم من خلال ذلك أن هويتها مرتبطة بجسدها. وتشير معظم الأساليب المتبعة مع الطفلة إلى المبالغة في ضبط حركتها لبناء هويتها انطلاقاً من جسدها، وهويتها الجنسية البيولوجية. وهي تتلقى هذه الإشارات والإيحاءات بشكل دائم ويومي. والأمثلة على ذلك كثيرة (طريقة الجلوس ـ اللعب مع الأقران ـ اللباس).

يشير مصطفى حجازي "أن الاستلاب الجنسي الذي تتعرض له المرأة يعني اختزال للمرأة إلى حدود جسدها. واختزال لهذا الجسد إلى بعده الجنسي: المرأة مجرد جنس، أو أداة للجنس ووعاء للمتعة، يؤدي مباشرة إلى تضخم البعد الجنسي لجسد المرأة بشكل مفرط، وعلى حساب بقية أبعاد حياتها"[46]. فالاختزال إذن يقوم بوظيفتين فهو من جهة يختصر المرأة إلى جسد[47]، وهو حينما يفعل ذلك يضخم هذا الجسد ليصبح محور حياتها ومحور اهتمام الرجل. الشيء الذي ينعكس على طريقة تعامل الذكر معها لاسيما أفراد الأسرة أولاً من أباء وأخوة، ثم أزواج لاحقاً، وينعكس ذلك بشكل واضح إلى عنف يهدف إلى ضبط هذا الجسد وقوننته.

---

[43] - جلسة نقاش مركزة، السويداء، تاريخ: 19/9/ 2022

[44]- انظر تحليل استبيان الشابات:https://drive.google.com/file/d/12qbQlxq1NVKm3tINtgBraS-47nLhFt/view?usp=share_link

[45] - حجازي، مصطفى، التخلف الاجتماعي، ص 251

[46] - حجازي، مصطفى، التخلف الاجتماعي، ص 214

[47] - هناك الكثير من الأمثال الشعبية في المنطقة تشير إلى هذا الاختزال والاستلاب بحق المرأة، على سبيل المثال (المرا مثل الكوارة بتتفضى لتخلص) وتعني أن مهمة المرأة هي إنجاب الأطفال للأسرة إلى أن تصبح غير قادرة وتدخل في سن اليأس. أو (الحرّة مرّة) بمعنى صعوبة معاشرة المرأة المستقلة. للاطلاع أنظر: عبيد، سلامة، أمثال وتعابير شعبية من السويداء، منشورات وزارة الثقافة، 1985.

لقد عبّر كثير من الشباب أثناء إجراء استبانة معهم أنهم لا يثقون بنظرة أقرانهم إلى الفتاة حين سؤالهم عن رأيهم بحدوث علاقة عاطفية بين إحدى قريباتهم وشاب. وربما يعبرون بذلك عن منطق الاختزال الذي نشأوا عليه والذي يحيل إلى البعد الجنسي فقط تجاه المرأة، والذي بدوره يرتبط بفكرة الشرف.

وهنا لا بد أيضاً من الإشارة إلى إحدى العادات التي مازالت موجودة في مناطق متفرقة من محافظة السويداء. وهي عادة إعلان فض غشاء البكارة لعائلتي الزوج والزوجة، حيث يُنتظر من الزوج في ليلة الدخلة منديل ملطخ بدماء غشاء البكارة لزوجته. وهي بمثابة دليل على عذرية الفتاة وعفتها. تروي إحدى السيدات عن قصة شهدتها لإحدى صديقاتها العام الفائت. أن صديقتها في ليلة الدخلة كانت بحالة من الخوف والتوتر تمنعها من إقامة علاقة حميمية، وأن أم الزوج تدخلت وعنفتها وطلبت منها إتمام العملية قسراً. وتضيف السيدة أن هذه المرأة ذاتها طلبت من زوج ابنتها أن يضربها حين تمنعت خوفاً في ليلة زواجها. كما تشير أن هذه العادة مازالت موجودة في مناطق متفرقة من المحافظة لاسيما في القرى، حيث يقوم الزوج في صباح اليوم التالي لليلة دخلته بزيارة أهل زوجته ويقدم لهم التحلية، مع دليل العذرية"[48].

ثانياً: البعد السيكولوجي:

يشمل البعد النفسي حزمة الآليات النفسية التي يستخدمها الأهل حيال طرح وتداول الموضوعات الجنسية عند الأبناء بوصفها جزءاً من أساليب التنشئة، ويتبني الأهل هذه الأساليب، عادة، بهدف إخضاع الأبناء لعملية تكيف قسري مع معايير الثقافة السائدة. تبدأ هذه الآليات التربوية ببناء منظومة تصورات حول قوي ميتافيزيقية صانعة للقوانين الطبيعية؛ من ضمنها قوانين التحريم والتأثيم. ينتقل الأهل بعد ذلك لتكريس مظلة الثقافة الاجتماعية السائدة ومعايير العيب الاجتماعي بحيث تكون محدداً لسلوك الأبناء، وفي حال مخالفة الأبناء لمعايير المرجعين الميتافيزيقي والاجتماعي، يلجأ الأهل إلى آليات القسر المباشرة مثل القمع والتعنيف.

التحريم والتأثيم.

يبدأ. التحريم من اللغة، عبر عملية ربط بين الدال وهو اللفظ المستخدم، أي اللغة المباشرة أو غير المباشرة، وبين المدلول وهو القضية أو الموضوع المراد تجنبه والابتعاد عنه. وغالباً ما يرتبط التحريم بعدم الفهم، ويلفه نوع من التعمية وغطاء من الجهل، ليصبح موضوعاً مسكوتاً عنه، غير قابل للنقاش أو الحوار، مجهولاً، ومحرماً. ويشير جاك لاكان[49] أن "بنية اللاشعور بنية لغويَّة بالدرجة الأولى، فهو الذي يتكلَّم داخل الإنسان. ويعتقد لاكان في هذا الخصوص أن الأعراض السيكولوجيَّة ذات طابع لاشعوري ويمكن فك رمزيتها بناء على هذا الأساس، وهذا ينسحب على ذكريات الطفولة، ونمط الحياة والمفردات الخاصة[50]. ويعتبر ربط المواضيع المتعلقة بالجنس بمفهومي العيب والحرام من السمات الشائعة في أساليب التنشئة الجنسية الأسرية السائدة في بيئة البحث. وتشير عينات المسح السابقة إلى ذلك بوضوح، فاستخدام كلمات (عيب- حرام) من الأهالي مع أطفالهم بلغ مستويات عالية جداً[51]، وهو يبدأ في سن مبكرة قبل أن ينضج

[48] - مقابلة خاصة مع إحدى السيدات في محافظة السويداء متزوجة عمرها 30 عام.

[49] -محلل نفسي فرنسي (1901- 1981) اشتهر بقراءته التفسيرية لسيغموند فرويد ومساهمته في التعريف بالتحليل النفسي الفرويدي في فرنسا في الثلاثينيات من القرن الماضي، وبالتغيير العميق الذي أحدثه في مفاهيم التحليل النفسي ومناهجه.

[50] - https://watfa.net/archives/1821

[51]- انظر تحليل استبيان الأهالي:
https://drive.google.com/file/d/1VR4mjy_bPd6JTOEREGsbkdKLFGv3Dr6m/view?usp=share_link

عند الأطفال فهم واضح للتصورات الاجتماعية، ولا لمعاني هذه الكلمات ودلالتها. وتستخدم هذه الكلمات ذات الدلالة الرادعة والناهية، بتكرار ملحوظ سواء عند توجيه أسئلة جنسية من قبل الأطفال لأهاليهم، أو في حال لاحظ الأهل أي سلوك للطفل يحمل دلالة جنسية، (وضعيات الجلوس - الألعاب الجنسية، اكتشاف الأعضاء الجنسية ..الخ)، ويستقر في وعي الطفل الذكر والأنثى على السواء تراكمات نفسية تجاه موضوع الجنس يعجز عن تفسيرها، وترافقه إلى وقت طويل خلال مراحل النمو (البلوغ وما بعد البلوغ)، يقول هشام شرابي أن موضوع الجنس موضوع محرم في العائلة، والحياة الجنسية يلفها غشاء من التكتم والسرية، وبالتالي فإن تجربة الجنس عند الطفل تتصف بالفوضى والألم والغموض[52]. ويرى المحلل النفسي والطبيب مهيار الخشروم أن "التحريم يعتبر أحد أبرز السمات في عملية التنشئة الجنسية الأسرية، حيث تأخذ الأسرة الدور الأكبر في تحديد طبيعة العلاقات الجنسية وتترك الأثر السلبي البالغ داخل الطفل.[53] إن التحريم أيضاً يخلق شكل من أشكال المثلنة، أي الصورة المثالية للعملية الجنسية في تصور الذكور والإناث. وفي مقابل المثلنة، ينتقل شعور ربط الجنس بالدنس والإثم في التنشئة الجنسية المرتكزة على الدين والأعراف إلى الأطفال على شكل شعور بالذنب يرافقهم كل حياتهم، لاسيما في حال تعرضوا للتعنيف المباشر في الطفولة. إن إشعار الأطفال بأنهم يرتكبون إثما سوف يعاقبون عليه إذا ما قاموا بسلوك جنسي أو حيال فضولهم الجنسي ومحاولاتهم التعرف على أجسادهم سوف ينتقل إلى مجمل علاقاتهم وقدراتهم على اتخاذ القرار وعلاقاتهم العاطفية المستقبلية. وتظهر سمة التأثيم بشكل مباشر وواضح لدى الذكور والإناث على شكلين يعتبران الأكثر تميزاً يصلان إلى مرحلة العقد النفسية. أطلق فرويد إحداها اسم (Madonahore) والتي تجعل من الذكر يحافظ على قداسة الأم من خلال شكل العلاقة الزوجية، الأمر الذي ينعكس على شكل عنانة تجاه الزوجة. وبالمقابل يتشكل لدى الأنثى مفهوم الولاء للأب والحفاظ على شرفه فيحل الولاء الأبوي محل اللذة والمتعة لكون الأنثى تكرس في عقلها الباطن بأن الجنس خطيئة وإثم. ويمكن للمثلنة (أي الصورة المثالية) للعملية الجنسية والتي تتكرس في تصورات الذكر، أن تقود إلى حالة من عدم الرضا، وتسبب صدمة سلبية وخيبة أمل عند أول عملية جنسية تجعله ميالاً إلى رفض الارتباط."[54] تقول الأخصائية روان الشوفي مديرة الحالة في برنامج العنف القائم على النوع الاجتماعي: "تعرضت إحدى السيدات للتخويف من الجنس منذ الصغر، باعتباره شيء معيب ومحرم، ثم قام الأهل بتزويجها وهي طفلة، ولم تكن تعرف شيء عن العلاقة الزوجية. فعانت من صراعات نفسية وتناقضات كبيرة منعتها من ممارسة العلاقة الحميمة مع زوجها، مما دفع الزوج لاغتصابها".[55] كما يمكن للتنشئة القائمة على التحريم أن تكرس نوع من الرابط بين الجنس والدنس بصورة مباشرة، بحيث ترتبط العملية الجنسية بالتقزز والمهانة. تقول إحدى الشابات 26 عام "أن الزواج والجنس ارتبطا بتصوراتها بفعل إهانة وإذلال يتم بحقها، ولذلك كانت ترفض فكرة الارتباط أو الزواج باعتباره شيء محتقراً، وتعتقد أن العملية الجنسية هي فعل يخزيها. سيما أن تصوراتها عن الجنس كانت خليط من التنشئة الأسرية ورأي والدتها من جهة، والبيئة الاجتماعية حولها من جهة أخرى، والتي تشير في رمزيتها ودلالتها (الشتائم) إلى الذكر الفاعل والأنثى المفعول بها[56]. وقد أظهرت نتائج الاستبانة بشكل واضح وبنسبة عالية جداً ضعف قنوات التواصل

[52] - شرابي، هشام، مرجع سابق، ص 43

[53] - د. مهيار خشروم، محلل نفسي، مقابلة خاصة. بتاريخ:2022/10/22.

[54]- مقابلة خاصة مع د.مهيار الخشروم. 2022/10/22.

[55] - روان الشوفي، مديرة الحالة في برنامج العنف القائم على النوع الاجتماعي، مقابلة خاصة، تاريخ: 2022/10/23

[56] - مقابلة خاصة مع إحدى الشابات، من محافظة السويداء، 26 عام.

وغياب ثقافة الحوار بين الأهالي وأطفالهم. وأنَّ التنشئة الاجتماعية العامة تعتبر التطرق والحديث عن الجنس أو الثقافة الجنسية أمر معيب ومخجل لاسيما داخل الأسرة.[57]

ـ التخجيل:

يشير هشام شرابي أن أهم الطرق المتبعة في تربية الطفل ضمن الطبقة الوسطى طريقة التخجيل. ولقد أشار إيريك فروم إلى فاعلية هذه الطريقة بقوله" لا شيء أكثر تأثيراً وفاعلية في سحق معنويات الفرد من إقناعه بأنه تافه ورديء" إن وظائف الطفل البيولوجية، وبصورة خاصة الوظائف الجنسية، تصبح أداة للسيطرة. فالطفل يبدأ يخجل من جسده ومن وظائفه الجسدية وهو يتعلم باكراً الجمع بين وظيفتي التبول والتغوط وعدد من الموانع الاجتماعية القاسية، ويدفع قسراً إلى تعلم النظافة وذلك قبل نضوج عضلات الإفراز بفترة طويلة، مما يؤثر في نمو شخصيته تأثيراً سلبياً.[58] ويميز شرابي بين الشعور بالذنب والشعور بالخجل حيث يقول:" بالرغم من أن موضوع الجنس هو أقوى وسيلة تجعل الطفل يشعر أنه شرير فهي ليست الطريقة الوحيدة لتخجيله من نفسه، فهناك طريقة فعالة أخرى هي الاستهزاء، الذي يرتكز على التخجيل. وهناك تمييز دقيق وواضح بين الشعور بالخجل والشعور بالذنب أو الخطيئة. والجدير بالذكر أن الطفل العربي، في عائلات الطبقة الوسطى، يتلقى تربية تجعله يشعر بالخجل أكثر مما يشعر بالذنب، فالدافع إلى الخجل هو أن الآخرين يشاهدون ما ارتكبه من عمل سيئ لا لأنه يشعر داخلياً بالندم على ذلك العمل السيئ. وفي شروط تربوية كهذه تنعدم القدرة على نقد الذات وإدانتها فينشأ مقابل ذلك مجرد رد فعل للضغط والنقد الاجتماعيين إن الشعور بالخجل يتكون بتأثير ما يتصوره الفرد عن رأي الآخرين فيه أكثر ما يتكون بسبب رأيه عن نفسه.[59] فعندما تقول الأم لطفلها في مكان عام، أن لا مانع من أن يتبول هنا لأن " ما حدا عم يتطلع" فإنها في الواقع تعلمه التكتم والتخفي، قائلة له بأن لا مانع من فعل ما هو محرم طالما أن عيون الآخرين لا تراه. ومن هذا القبيل فإن التمييز بين سلوك ظاهر وسلوك باطن يتخذ الصفة العملية. ومن المفيد أن نتساءل كيف يتأثر نمو الأنا الأعلى بهذا النوع من التربية – نستطيع أن نتساءل: هل يتمكن الطفل الذي يخضع للقهر والتخجيل من تحويل القيم الأساسية التي يتلقاها من المجتمع إلى حوافز داخلية، أم أنه يكتفي باكتساب عادات وتعلم حيل تساعده على تدبر أمره.[60] يتساءل شرابي إذن إلى أي حد يتأثر نمو الضمير الأخلاقي والشعور بالمسؤولية بهذا النمط من أنماط التربية الاجتماعية وبتجارب الطفولة المرتبطة به؟ ويؤكد أن نمو الأنا الأعلى يفترض نوعاً من الشعور بالمسؤولية لكن الطفل الخاضع للتخجيل قد كون في نفسه شعوراً بأنه ليس مسؤول وأن لا مجال للومه. ولأن الطفل لا يمكنه أن يلجأ إلا للخضوع من أجل الدفاع عن نفسه ضد الغضب والاستهزاء فلا يمكنه أن يعتبر نفسه مسؤولاً، بل مظلوماً، فكيف يمكن للشعور بالمسؤولية أن ينمو إذا كان الفرد يشعر بالعجز شعوراً مستمراً؟ وبما أن الفرد يرفض بصورة لا شعورية السلطة التي تسحقه، فهو يعفي نفسه من المسؤولية مما يؤدي إلى غياب النقد الذاتي وإرادة العمل والمبادرة في الفعل[61]. ويمكن لنا الإضافة هنا أن مثل هذه السمات تنعكس بصورة واضحة على الإناث أكثر من الذكور، نتيجة ترسيخ هذه التصورات في أذهانهم من جهة، أي الصورة الاجتماعية، وصمة العار، نظرة الآخرين. كما أنهنَّ العنصر الأكثر تعرضاً للتسلط والقهر والقمع في المجتمع من جهة أخرى.

---

[57] - أنظر نتائج تحليل الاستبيان في المطلب السابق.

[58]- شرابي. هشام، مرجع سابق ص 43.

[59]- شرابي، مرجع سابق. ص 44.

[60]- شرابي، مرجع سابق، ص 45.

[61]- شرابي، مرجع سابق، ص 46.

ـ القمع والتعنيف:

يعتبر القمع والتعنيف من الأساليب المتعبة السائدة مع الأطفال لدى الأسر بما يخص المواضيع الجنسية. ويظهر ذلك سواء بطريقة الرد على أسئلة الأطفال الجنسية أو من خلال ردة الفعل تجاه أي سلوك ذو مدلولات جنسية (أكثر من نصف العينة المبحوثة من الأسر تمارس العقاب والتهديد مع أبنائهم في حالة ملاحظتهم لسلوك جنسي مثل اكتشاف الأعضاء لدى الجنسين، أو الألعاب الجنسية) وبحسب الأخصائية الاجتماعية روان الشوفي: "أن التنشئة الجنسية الأسرية التقليدية قائمة على القمع والتعنيف والكبت، وهو ما يخلق حالة خوف من السؤال لدى الأطفال، وشعور مستمر بالذنب ويخلق فجوة أمام تكوين صورة كاملة عن الجسد، وعن المشاعر عند الأطفال، وبالتالي إمكانية التعبير عن هذه المشاعر، وكذلك عدم القدرة على فهم مشاعر الآخرين واحتياجاتهم وكيفية التعامل معها. إن شعور الذنب الذي يرافق الطفل عند تعنيفه يسبب حالة من ضعف الثقة بالنفس، وتقدير الذات، مما يسهل مستقبلاً استغلاله دون إدراكه أن ما يقع عليه هو عنف أو استغلال.[62] كما تؤكد الشوفي أن عمليات الكبت والقمع والتعنيف وعدم الاعتراف يولد الغضب، والذي يغذي العنف بدوره، ويولد مشاعر سلبية، مثل مشاعر حقد تنعكس بسلوكيات عدوانية تجاه (الذات -الأقران -الأزواج) وعادة ما يلجأ الأهل لتعنيف أطفالهم جسديا أو تأنيبهم عندما يتعلق الأمر بالأمور الجنسية بدلاً من إعطائهم معلومات تلائم المرحلة العمرية أو آليات حماية مثل تعليمهم حدود الجسد وخصوصيته. "إحدى القاصرات تعرضت لتحرش عدة مرات من أحد أقاربها ونتيجة خوفها من الإفصاح أو الشكوى استغل المتحرش صمتها، وأدى ذلك لتعرضها للاغتصاب وعندما اكتشف الأهل الأمر تعنفت من قبلهم بشكل وحشي، وتحملت ذنب ما حدث لها، بحجة أنها أغوته، وأن الأمر لا يعيبه، وإنما يلحق بها العار وحدها. وبدلاً من اللجوء للقانون وتقديم الدعم والرعاية لها، تم تزويجها لمغتصبها وهي بعمر الخامسة عشرة. وتضيف الشوفي: "بناءً على العديد من الحالات تبين أن الأشخاص الذين يتعرضون للتحرش تزداد احتمالية أن يكونوا عنيفين بدورهم (قد تظهر سلوكيات سادية أو مازوشية) فالمراهقين والأطفال المتعرضين للتحرش تزداد مشاعر العدوانية لديهم تجاه الآخر أو تجاه الذات، وبالتالي ينتج أشخاص مُعَنَفين ومُعَنِفين مما يزيد من احتمالية الاضطرابات النفسية مثل الاكتئاب الذي قد يصل حد الانتحار[63] نتيجة الشعور بالعار والإثم واضطراب الشدة ما بعد الصدمة، بالإضافة إلى انعكاس ذلك على العلاقة الجنسية مع الشريك (البرود - الاستغناء عن العلاقة الجنسية) بعد التعرض للتحرش.[64]

ثالثاً: البعد المعرفي:

يعالج هذا البعد جهل الأهل بطرائق التربية السليمة، والآثار المترتبة عنه في سلوك الأبناء. يعتقد شرابي أن التعليم الذي يجري في إطار العائلة وخارجها يتميز بصفتين رئيسيتين، فهو من جهة يقلل من أهمية الإقناع والمكافأة، ومن جهة أخرى يزيد من أهمية العقاب الجسدي والتلقين. ويستخلص أن هذا الوجه من وجوه التعلم، بما يربطه بالواقع الاجتماعي، يعمل على تعزيز السلطة وتشجيع التبعية واستبعاد التساؤل والبحث، كما يعمل على تعطيل طاقة الإبداع وتكوين أنماط جامدة من التعامل والحوار. [65]

---

[62]- روان الشوفي مديرة حالة في برنامج العنف القائم على النوع الاجتماعي، مقابلة بتاريخ 2022/10/23

[63]- تكررت حوادث انتحار مراهقين في السنوات الأخيرة حيث وصل العدد إلى 10 حالات خلال العام 2022 وبحسب مسؤول في قسم الإسعاف فإن معظم الحالات كانت لشبان يافعين

[64]- مقابلة مع روان الشوفي مديرة حالة في برنامج العنف القائم على النوع الاجتماعي، بتاريخ 2022/10/23

[65]- شرابي، هشام، مرجع سابق، ص 47- 50.

تنسحب هذه الآلية على نمط إيصال المعلومات الجنسية الأساسية من الأهل إلى الأبناء والتي تتسم بقدر كبير من التشويش والتعمية، و بغياب المعرفة والخبرة الضرورية عند الأهل بكيفية التعامل والرد على أسئلة الأطفال الجنسية وبالتالي تقديم تصورات مختلفة ومضللة عن الجنس والعملية الجنسية، وهو ما يمكن ملاحظته بين الطلاب في المدارس بشكل واضح من خلال ردود الأفعال على المواضيع ذات الطبيعة الجنسية : تقول السيدة (سلام.ر) وهي مرشدة نفسية في إحدى المدارس في مدينة السويداء: "نحن بحاجة لتوعية جنسية للأهالي قبل الطلاب، فمثلاً هل يعقل أن يكون درس جهاز التكاثر في الثالث الثانوي صادماً لقسم من الطلاب؟! بالتأكيد هذا أمر مؤسف، ومرده إلى البيئة الاجتماعية التي نشأوا فيها. وحتى بالنسبة للقسم من الطلاب الذي لا يكون هذا الدرس صادماً لهم، فهذه المعلومات قد أتت متأخرة جداً بعد كم من المعلومات المغلوطة التي تلقاها الطفل سواء من الأسرة أو من الأقران أو من الانترنت"[66]

تشرح المرشدة الاجتماعية في أحدى المدارس: " نلاحظ لدى الطلاب في الفترة العمرية التي تشهد نشاطاً في النمو النفسي والجنسي توجهاً على السوشيال ميديا والانترنت لإشباع فضولهم من خلال متابعة المواقع الإباحيّة، والتي تؤدي إلى نتائج خطيرة تهدد نموّهما النفسي والجنسي وتفضي إلى أزمات نفسية خطيرة مستقبلاً، وطبعاً هذا تم استنتاجه من خلال الخمول الذي يأتي به الطلاب إلى المدرسة وبالأخص الذكور، وتصريحهم بالسهر لوقت متأخر، وربط ذلك بأحاديثهم الجنسية التي تصلنا كمرشدين بطرق غير مباشرة، وأنا قلت أنه تم استنتاجه لأن لمعرفته من قبل الطلاب يحتاج إلى تواصل عميق معهم من قبل المرشدين وهذا مفقود."[67] في حين يرى الباحث والكاتب د. نزار عيون السود: " أنه لا توجد تربية جنسية في مدارسنا، فكيف نطلب من الأسرة أن تقوم بتربية جنسية سليمة. ويقول إن توفر أساليب وطرائق سليمة للتنشئة الاجتماعية، ومن بينها التربية الجنسية، يساهم في اكتمال النضج العاطفي، ولكن لا يوجد في مجتمعنا تربية جنسية بالمعنى العلمي للكلمة، وكل ما يقال هو بضع كلمات تبعد الطفل السائل عن الموضوع ولا تقدم له الجواب الصحيح.[68] وبحسب مديرة الحالة في برنامج العنف القائم على النوع الاجتماعي روان الشوفي: "خلال دراسة العديد من الحالات لأشخاص يمارسون العنف أو يقع عليهم العنف، تبين أن كلا الطرفين يعانون من غياب النضج العاطفي. لاسيما عند الأمهات القاصرات، حيث لا تشعر الأم القاصر برابطة الأمومة مع أطفالها أو المسؤولية تجاههم. وهذا ينعكس على الأطفال من خلال شعورهم بالذنب أو أنهم غير مرغوبين. ويساهم ذلك مستقبلاً بإعاقة نموهم العاطفي والنفسي السليم. ولوحظ من خلال المراقبة أن غالبية هؤلاء الأطفال يكونون عدوانيين تجاه الآخرين، وأيضا تجاه ذواتهم. ومستقبلاً فإن غياب النضج العاطفي يمنع الشخص من فهم مشاعره والإقرار بها، ويمنعه من فهم مشاعر الآخر الأمر الذي يؤدي إلى سلوك عنفي". وتتحدث الشوفي عن أهمية التثقيف الجنسي "بسبب غياب التثقيف الجنسي من قبل الأهل، وبسبب الخوف من عدم توافق المعلومة لعمر الطفل، أو الخجل من الحديث بما يخص العلاقة الجنسية، تزداد احتمالية تعرض الأطفال للتحرش (أو الاغتصاب) دون إدراك الشخص أن ما يتعرض له هو اعتداء"[69]
تقول إحدى السيدات 30 عام متزوجة، أنها كانت على جهل كامل بكل ما يتعلق بالمواضيع الجنسية. وخلال فترة دراستها الجامعية، تعرضت لتحرش مباشر في الشارع، تركها بحالة صدمة وذهول وخوف استمر فترة طويلة، ولاحقها في أحلامها على شكل كوابيس مستمرة. مع عجز كامل عن تفسير ما حصل ولوم الذات، وخوف من التصريح بالأمر. الشيء الذي ساهم في تأخرها الدراسي لمدة عام. وتضيف أن هذا الأمر سبب لها النفور من كل الذكور بما في ذلك الأب والأخ

[66]- مقابلة خاصة، مرشدة نفسية في ثانويات محافظة السويداء بتاريخ: 2022/10/20.
[67]- مقابلة بتاريخ، مرشدة اجتماعية في مدارس محافظة السويداء الإعدادية، تاريخ: 2022/10/19
[68]- مقابلة خاصة مع الدكتور نزار عيون السود، تاريخ 2022/10/24
[69]- مقابلة خاصة، روان لشوفي، مديرة حالة في برنامج العنف القائم على النوع الاجتماعي، السويداء، تاريخ 2022/10/23.

والأصدقاء. وقد دفعها ذلك لاحقاً للاطلاع والبحث، وتقول إن تعرضها الآن لنفس الموقف سيكون أمراً قابلاً للمعالجة بسهولة.[70]

لا بد من الإشارة أخيراً إلى وجود العديد من حالات التحرش والاغتصاب داخل الأسر، من قبل ذكور مقربين من الإناث، فيما يسمى غشى المحارم أو سفاح القربى. وهي حالات لا يمكن إنكارها أو تجاهلها رغم التكتم الشديد حولها، وعدم وجود أية إحصاءات عنها. الشيء الذي يشير بوضوح إلى أن التعمية والجهل والخوف والكبت، هي حوامل أساسية لوجود مثل هذه الحالات من العنف النفسي والجنسي المباشر الذي يمكن أن يقع على النساء لاسيما المراهقات منهن. وقد أظهرت نتائج الدراسة المسحية والمقابلات التي أجراها الباحث، جهلاً واضحاً لدى الأهالي بالطريقة المناسبة في التعامل مع الأبناء بالمواضيع ذات الطابع الجنسي. وتجلى ذلك من خلال طريقة رد الأهالي على أسئلة أبنائهم الجنسية، والمعلومات التي يقدمونها، (حوالي 80% من العينة المبحوثة أجابت بأنهم يقدمون قصصا خيالية أو لا يعرفون بماذا يجيبون، أو يتجاهلون الأسئلة أو يحيلون الإجابة إلى الشريك). كذلك تم ملاحظة الجهل من خلال الغياب الواضح للأسرة كمصدر للحصول على المعلومات الجنسية مقارنة بالمصادر الأخرى المتاحة. (ثلثي العينة المبحوثة من الشباب والشابات كانت الأقران هم مصدر المعلومات الأول ومن ثم الانترنت)[71] وبالمحصلة فإن التنشئة الجنسية الأسرية تتسم بمقدار من الجهل ونقص في المعلومات الأساسية. وضعف في التواصل بين الأهالي والأبناء. وقد صرح كثير من الأهالي في المقابلات التي أجريت معهم بأنهم لا يعرفون كيف يجيبون على أسئلة أطفالهم في كثير من الأحيان[72].

إن حالة الجهل والتعمية التي تمارس على الأبناء من قبل الأهل بكل ما يتعلق بموضوع الجنس باعتباره تابو، تفقد الأطفال طريقة الفهم الصحيح لأجسادهم، وتحيل جسد الآخر المختلف غريباً وغير مفهوم. كما تفقد المراهقين آلية التعامل الصحيح في كثير من المواقف التي يتعرضون لها. لاسيما منهن الإناث. ومن جهة أخرى فإن الجهل يمكن أن يؤدي لاحقاً إلى ممارسات خاطئة لإرضاء الفضول، ورغبة الاكتشاف عند الجنسين. وفي حين أن الجهل والفضول كانا سبب ودافع للاستكشاف، فإن طريقة تعامل الأهالي العنيفة مع مثل هذه السلوكيات سيكرس المشكلة ويعمقها وينقلها لاحقاً من إطارها البسيط ليجعل منها مشكلة ذات أبعاد نفسية مركبة.

خلاصة:

تجدر الإشارة إلى أن أسباب العنف وأشكاله ودوافعه مختلفة، ولا يمكن حصرها في عامل التنشئة الجنسية فقط، كما أن العنف بحد ذاته من القضايا الإشكالية إذا ما حاولنا فهم طبيعته. ولكن أصبح بالإمكان استنتاج مؤشرات رئيسة للعنف وأسباب وجيهة مؤسسة له في سياق هذا البحث، وذلك من خلال ما تم تقديمه، واعتماداً على مجموعة من الروابط المنطقية في تفسير الظواهر النفسية والاجتماعية حيث يظهر أن دور الأسر في سياق تبني الصورة النمطية التي تعلي من شأن الذكر بكونه ذكر، وتحط من قدر الأنثى بكونها أنثى، هو استمرار وتماهي مع جميع المنظومات التربوية والتعليمية والسياسية والدينية، وتكريس لها. وهو على ارتباط وثيق بسمات التنشئة الجنسية وأساليبها العامة. إذ تساهم الأسرة في التأسيس لبناء النسق الثنائي التراتبي وتغذيته عبر تلك الأساليب التي تتبعها. وفي حين يمنح هذا النسق للذكور السلطة على الإناث فهو من دون شك سيتحول إلى عنف يمارس ضدهن، سواء كان عنف رمزي إقصائي، أو عنف جسدي وجنسي. فالميزات والصلاحيات والحقوق التي تمنح من خلال التنشئة للذكور وتحرم على الإناث، هي بالوقت ذاته حقوق مهددة يجب التصدي والدفاع عنها في وجه الذكور الآخرين. وهنا تصبح

[70]- مقابلة خاصة، سيدة متزوجة من محافظة السويداء،30 عام.
[71] - أنظر نتائج تحليل الاستبيان
[72] - أنظر نتائج تحليل الاستبيان.

المرأة قادرة على تكريس هذا التفوق وهذه القوة الذكورية أو سحبها. وفي بيئة كهذه يصبح التهديد والخوف والاستفزاز سمة عامة للمجتمع ومؤهب دائم للعنف.

ولعل أحد أهم أوجه العنف المباشر قادم من مأزق إثبات الذات وتأكيد السيطرة، ومن وهم تملكك السلطة والقوة، وحق الدفاع عنها. لقد عبر حجازي عن ذلك بما أسماه عقدة العار والتي يمكن تسميتها بالجرح النرجسي وهو الذي يشكل أكثر مواطن الوجود الإنساني ضعفاً ومساً بكبريائه الذاتي. إنها الكرامة المهددة، ولذلك فإن العزة والكرامة تحتلان مكانة أساسية في خطاب الإنسان المقهور، بقاء الرأس مرفوعاً الاحتماء من كلام الناس، قضايا مصيرية بالنسبة له. يستطيع الإنسان أن يعيش بدون خبز، ولكنه يفقد كيانه الإنساني إذا فقد كرامته وظل عارياً أمام عاره، ولكن الرجل المقهور يسقط عاره أساساً على المرأة: المرأة عورة أي أنها موطن الضعف والعيب. وبسبب هذا الإسقاط يربط شرفه كله وكرامته كلها بأمر جنسي ليس له أي مبرر من الناحية البيولوجية المحض. وليس من قبيل المصادفة أن تحاط المرأة بكل هذه الأساطير حولها دورها في التعبير عن الشرف المهدد. فطالما أن أكبر درجات الغبن تلحق بالمرأة في المجتمع الذي يتصف بالقهر، ليس من المستغرب إذاً أن يربط الشرف بها ويسقط العار عليها. يصل الأمر حداً من التطرف يجعل القتل مبرراً ومعترفاً به اجتماعياً تحت اسم جناية الشرف. ويعتبر حجازي أن في ذلك تحويلاً للأنظار عن مصدر العار وسببه وهو الاستغلال والتسلط وما يفرضانه من قهر على الإنسان ودوس لكرامته. فالإنسان المقهور، بدل أن يثور ضد مصدر عاره الحقيقي، يثور ضد من يمثل عاره الوهمي وهو المرأة المستضعفة.[73] وبالتالي فإنّ الحالة المزمنة من الإحباط والإهمال والقهر تجعل إنسان المجتمع المتخلف في حالة تعبئة نفسية دائمة استعداداً للصراع وهذا ما يقلص هامش العقلانية والحوار المنطقي.

وفي مقابل كل هذا فإن إلغاء دور التربية الجنسية: (المؤثر الأكبر في النمو الذهني والعاطفي لدى الفرد) سواء في الأسرة من خلال تجنب النقاش في هذه المسائل واعتبارها من المحرمات والعيوب، أو في المدارس عبر إهمالها الكامل لهذا الجانب، جعل من الجنس أحد المحرمات المرتبطة بالعيب والنقيصة ونقيضاً للأخلاق، وكرّس عبر تغييب الوعي الجنسي الجهل والخوف من الآخر والعدائية تجاهه، ليبني محلها تنشئة جنسية قوامها ركيزتي الأمر والنهي، وهما عبارة عن محظورات يتم تلقينها لكلا الجنسين نحو بعضهما. تعزز مفهوم: الذكر السيد والمالك والأنثى التابع والمملوك، تلك العلاقة المؤسسة على التمييز والسيطرة والقهر لا على التفاهم والمشاركة والمساواة، وبذلك تتعزز أهم مسببات النزاع والعنف داخل المجتمع. لاسيما أن العنف هو الوجه الآخر لانقطاع آليات التواصل والحوار والفهم. فالتجهيل والقمع وانقطاع الاتصال اللغوي بين الأهل والأبناء، سوف يؤدي إلى كبت المشاعر والرغبات وإلى عدم اكتمال النضج العاطفي، وانعدام الخبرة المعرفية، وهو بدوره سيمهد الطريق أمام بروز العنف عند الذكور ضد الإناث لاسيما أن الجنس والمشاعر الجنسية وفق كل ما سبق، تصبح مجالاً للتوتر والشحن الانفعالي، ومحرضاً مستمراً للعنف.

توصيات:

يخلص البحث إلى توصية رئيسية تتمثل بضرورة التعاون والتنسيق مع الخبراء والمختصين الاجتماعيين والنفسيين، من أجل العمل على صياغة دليل إرشادي مطبوع يتضمن أهم أساليب وطرق التربية الجنسية الصحيحة للأطفال داخل الأسر. يتم توزيعه على عدة شرائح مختلفة من الأهالي، ونشره إلكترونياً، مع تنفيذ عدد من الجلسات الحوارية لمناقشة محتويات الدليل. بالإضافة إلى ذلك، تقدم مجموعة البحث حزمة التوصيات العامة التالية:

[73] - حجازي، مصطفى، مرجع سابق، ص 47- 48.

- تنفيذ حملة حشد ومناصرة تستهدف المدارس في المحافظة بهدف تجنب السلوكيات التمييزية داخل الشعب الصفية.
- تنفيذ جلسات حوارية مع المدرسين والمدرسات حول أهمية التربية الجنسية داخل المدارس وكيفية تقديم المعلومات الجنسية بطريقة طبيعية ومبسطة، بعيداً عن مفاهيم العيب، والحرام، والخوف، والخجل.
- عقد جلسات حوار تجمع الأهالي والمدرسين حول ضرورة التعاون والتنسيق بين المدرسة والأسرة بهدف التوعية بطرق التربية الجنسية الصحيحة.
- إنشاء منصة إلكترونية على مواقع التواصل الاجتماعي ذات محتوى خاص بالتوعية بأساليب التربية الجنسية الأسرية الصحيحة، يتم نشر الدليل الإرشادي عليها وطرح المحتوى العلمي للنقاش العام.
- إنشاء (مجموعة عمل استشارية) مؤلفة من مختصين اجتماعيين ونفسيين وقانونيين متطوعين/ات بهدف تقديم دعم نفسي وقانوني، وتوفير جلسات استشارية مجانية عبر إنشاء قناة تواصل أونلاين آمنة(website) للنساء والشباب/ات المعنفين والمحتاجين/ات للدعم والمشورة مع مراعاة الخصوصية.
- دعم المشاريع التي تهدف إلى التشبيك مع منظمات العمل المدني، والجمعيات العاملة في مجال مناهضة العنف القائم على النوع الاجتماعي، بهدف تبادل الخبرات ومشاركة المخرجات فيما بينها.
- دعم المنظمات والجمعيات العاملة في محافظة السويداء في مجال تمكين المرأة اقتصادياً وحقوقياً، بهدف تعزيز مشاركتها المجتمعية والسياسية.
- تنفيذ تدريبات وورشات عمل خاصة بدعم المساواة الجندرية، ومناهضة العنف القائم على النوع الاجتماعي، والتزويج المبكر والقسري، والحرمان من التعليم.

مصادر ومراجع البحث

ـ كتب ومنشورات دورية:

الدياليمي، عبد الصمد. "سوسيولوجيا الجنسانية العربية". دار الطليعة، الطبعة الأولى، بيروت. 2009.

حجازي، مصطفى. "التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجيا الإنسان المقهور". المركز الثقافي العربي، الطبعة التاسعة

شرابي، هشام. "مقدمات لدراسة المجتمع العربي". المتحدة للنشر، الطبعة الثالثة، 1984.

عباس مكي. "الجسم محرماته وتشريعاته وتعبيراته الرمزية". مجلة دراسات نفسانية، كلية الآداب في الجامعة اللبنانية. العدد الأول، بيروت، 1974.

ليرنر، غيردا. "نشأة النظام الأبوي". المنظمة العربية للترجمة. 1985.

تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2004. برنامج الأمم المتحدة، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي (المكتب الإقليمي للدول العربية).

دنيا، خولة. الغزالي، ناصر. "تقرير المرأة السورية بين الواقع والطموح". مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية. 2008.

اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الاسكوا). "المرأة العربية اتجاهات وإحصاءات 1990-2000". الأمم المتحدة نيويورك. 2004.

عصمت حوسو حوسو. "الجندر ـ الأبعاد الاجتماعية والثقافية". دار الشروق للنشر والتوزيع. 2009.

بسيوني، محمود شريف. "الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان ـ الوثائق العالمية". المجلد الأول. دار الشروق، القاهرة. 2003.

موسى، رشاد. "سيكولوجيا الفروق بين الجنسين". مؤسسة المختار. القاهرة. 1990.

البيراماني، كواكب. كاظم، ابتسام هادي. "العنف ضد المرأة ـ دراسة ميدانية في مدينة بغداد". مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد التاسع عشر.

غازي، نسرين. "التنميط الجنسي للإناث وأثره في اختيار الدراسة والمهنة". أطروحة جامعية. جامعة دمشق. 2001.

عبيد، سلامة. "أمثال وتعابير شعبية من السويداء". منشورات وزارة الثقافة. 1985.

جرائم الشرف في محافظة السويداء بين العرف والقانون وتأثير الصراع. 2020. يطلب من الرابط:
https://drive.google.com/file/d/1sd90C9KnU5qTvk8nG7F_H5m0zMYP1tSb/view?usp=share_link

تقرير خاص نشرته منظمة (سوريون من أجل الحقيقة والعدالة). 2021. يطلب من الرابط: https://2u.pw/g7kbV3

فريق عدالة. جرائم قتل النساء على خلفية شرف العائلة. ص 33. يطلب من الرابط: https://2u.pw/t6I3n2

ـ مواقع الكترونية:

وطفة، علي. "البنية الشعورية للغة عند جاك لاكان". الموقع الإلكتروني الشخصي للدكتورعلي وطفة. ديسمبر 2015. يطلب من الرابط: https://watfa.net/archives/1821

ـ المقابلات:

ـ جلسات نقاش مركزة مع مختصين في السويداء: عقدت بتاريخ في الفترة من 19-2022/9/30.

- د. نجوى نادر، مقابلة خاصة ـ مدينة السويداء ـ بتاريخ 2022/10/28.

- د. نزار العيون السود، كاتب وباحث مختص بالتربية الجنسية ـ مدينة دمشق ـ مقابلة خاصة بتاريخ: 24/10/2022

- د. مهيار خشروم، محلل نفسي ـ مدينة دمشق ـ مقابلة خاصة. بتاريخ:2022/10/22.

- روان الشوفي، مديرة الحالة في برنامج العنف القائم على النوع الاجتماعي ـ مدينة السويداء ـ مقابلة خاصة، تاريخ: 2022/10/23

- مرشدة نفسية في ثانويات محافظة السويداء (رفضت التعريف باسمها في البحث) ـ مدينة السويداء ـ مقابلة خاصة بتاريخ 2022/10/19.

- مرشدة اجتماعية في مدارس محافظة السويداء الإعدادية (رفضت التعريف باسمها في البحث) ـ مقابلة خاصة بتاريخ 2022/10/20.

- المحامي عادل الهادي، محام ممارس لدى محالكم محافظة السويداء ـ مقابلة خاصة بتاريخ 2022/10/25.

ـ روابط نتائج الاستبانة الميدانية:

نتائج استبانة فئة الأهالي:
https://drive.google.com/file/d/1VR4mjy_bPd6JTOEREGsbkdKLFGv3Dr6m/view?usp=share_link

نتائج استبانة فئة الشباب:
https://drive.google.com/file/d/1evoYrz1wTr81vNHhIBUnPkaVW0_UxP0G/view?usp=share_link

نتائج استبانة فئة الشابات:

https://drive.google.com/file/d/12qbQlxq1NVKm3tINtgBraSTT-47nLhFt/view?usp=share_link

الفهرس

ملخص تنفيذي 2

المقدمة 2

المطلب الأول: مقدمات نظرية 3

أولاً ـ الدراسات سابقة 3

ـ دراسة عبد الصمد الديالمي: سيسيولوجيا الجنسانية العربية 3
ـ دراسة مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي- سيكولوجيا الإنسان المقهور 4
ـ دراسة هشام شرابي: مقدمات لدراسة المجتمع العربي 5
ثانياً ـ لماذا التنشئة الجنسية؟ لماذا الأسرة؟ 5
ثالثاً ـ عرض بيئة الدراسة 6
رابعاً - المرأة في سوريا عموماً وفي محافظة السويداء بشكلٍ خاص 7

المطلب الثاني: مفاهيم التنشئة الاجتماعية والتنشئة الجنسية والعنف ضد المرأة 10

أولاً ـ التنشئة الاجتماعية 10
ثانياً ـ التنشئة الجنسية 11
ثالثاً ـ العنف، والعنف ضد المرأة 11
المطلب الثالث: السمات العامة للتنشئة الجنسية الأسرية في محافظة السويداء 14

أولاً. التقرير الإجرائي للدراسة المسحية 14

ثانياً. نتائج الاستبانة 14

1. استبانة الأهالي 15

2. استبانة الشباب 15

3. استبانة الشابات 16

3 . مؤشرات تحليلية لسمات التنشئة الجنسية الأسرية في محافظة السويداء 17

المطلب الرابع: أساليب التنشئة الجنسية الأسرية وتغذية العنف 17

أولاً: البعد الثقافي 18

- التنميط الجنسي وتكريس العنف 18
- تعزيز التفوق الذكوري 19
- إثبات الهوية 20
- التخويف والاتهام 21
- الاختزال 21

ثانياً: البعد السيكولوجي 22

- التحريم والتأثيم 22
- التخجيل 24
- القمع والتعنيف 25

ثالثاً: البعد المعرفي 26

الخلاصة 28

التوصيات 29

مصادر ومراجع البحث 31